الأعمال الكاملة



الملك لير



الملك لير

تأليف

ويليام شكسبير

ترجمة

إبراهيم جلال



الملك لير

.. وليام شكسبير

الطبعة الأولى: 2010

رقم الإيداع: 15017/ 2009

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة

الناشر

العالمية للكتب والنشر

١٥ الفاروق عمر بن الخطاب - الطالبية - فيصل - الجيزة

تليفون وفاكس: ٣٧٢٢٢٧٢٧ محمول: ٠١٢٢٥٩٥٩٧٢

منزلة شكسبير
في الأدب الإنكليزي وأعماله

- حياة المؤلف (١٥٦٤ - ١٦١٦)

يعد ويليام شكسبير من كبار الشعراء والمسرحيين الإنكليز.

ولد عام (١٥٦٤) في ستراتفورد، وتوفي فيها عام ١٦١٦.

بشأن حياته فإن المؤرخين لا يذكرون شيئًا عن نشاطاته سوى أنه تزوج آن هاتوي في عام ١٥٨٢ وجاءه منها ثلاثة أولاد.

قضى شكسبير معظم حياته العملية في لندن. .. ولم يشتهر ككاتب مسرحي إلا في عام ١٥٩٢، تعامل شكسبير مع فرقة اللورد (شامبرلين) للتمثيل فقط، وقد كان هذا في عام ١٥٩٤.

وأصبحت هذه الفرقة فيما بعد فرقة الملك الخاصة عام ١٦٠٣، فازدهرت واشتهرت بين كل الفرق المسرحية التي ظهرت في ذلك العصر.

أنشأت هذه الفرقة مسرح (جلوب) عام ١٥٩٩.

واكتسبت المسرح الخصوصي "بلاك فير" عام ١٦٠٨.

قسم النقاد حياة شكسبير الأدبية أربعة أقسام:

ففي المرحلة الأولى (١٥٨٨ - ١٥٩٤) أجاد شكسبير ببعض رواياته،

فكتب "تيتس اندرونكس" و"جهد الحب ضائع" و"ملهاة الأخطاء" و"حلم ليلة في منتصف الصيف". و"روميو وجولييت" و"سيدان من فيرونا" و"هنري السادس" و"رتشارد الثاني" و"رتشارد الثالث". ..

- أما في المرحلة الثانية فظهر له "الملك جون" و"تاجر البندقية" و"ترويض المتمردة" و"هنري الرابع" و"زوجات وندسور المرحات" و"هنري الخامس" و"كما تهواه" و"جعجعة ولا طحن" و"الليلة الثانية عشرة" و" خير كل ما ينتهي بخير". ..

- وفي المرحلة الثالثة (١٦٠١ – ١٦٠٧) أنتج لنا "يوليوس قيصر" و"هاملت" و"عطيل" و"الملك لير" و"ماكبث"، و"كيل بكيل" و"ترويتس وكرسسدا" و"أنطوني وكليوباترة" و"كوريولانس" و"تَيْمُن الأثيني".

- وفي المرحلة الرابعة (١٦٠٨ - ١٦١٣) أجاد لنا "بركليس" و"العاصفة" و"سمبلين" و"قصة الشتاء" و"هنري الثامن". ..

وهكذا يبدو لنا أن رواياته تنقسم إلى أربعة أقسام، فإما روايات تاريخية أو ملاهي أو مآسي.

إبراهيم جلال

عصر شكسبير

شهد عصر شكسبير انقلابًا واسعًا في الحياة الاجتماعية، فظهور الطبقة المتوسطة، والحكومة المركزية في البلاد، واختفاء المعتقدات الدينية التي كانت تسيطر على أفكار شعب إنكلترا في القرون الوسطى، كل هذه العوامل أدت إلى انتقال إنكلترا إلى مرحلة عصرية حديثة، فأصبحت بالتالي أمة متطورة ومزدهرة.

وقد شهد شكسبير هذه المرحلة من تاريخ إنجلترا، تلك المرحلة التي قدس أصحابها مسألة تحقيق الذات (أي أن يحقق المرء كفاءاته الشخصية).

كما شهد مسألة احترام الذات وحرية الرأي والعمل.

نرى أن هذه القضايا استأثرت باهتمام شكسبير كثيرًا حتى كانت مصدرًا لموضوعاته ومسرحياته، ويبدو لنا هذا إذا تناولنا أية مسرحية له ودرسناها جيدًا، فيتبين لنا أن الممثلين يعملون.

المُقدمة

تعتبر مسرحية الملك لير من أكثر مسرحيات شكسبير رواجًا؛ لأنها من المسرحيات التي تتحدث عن أحد الموضوعات الحية منذ قديم الزمان، كما أن نماذج الشخصيات فيها من النماذج الطبيعية التي لا يبليها الزمن ولا تتقيد بمكان دون غيره، حيث صورها الأدب الشعبي وكثير من القصص منذ أقدم العصور، وكأنها من قصص ألف ليلة وليلة العربية.

لذلك نجد تحقيق نسبية هذه المسرحية أعصى من غيرها من المسرحيات الشكسبيرية الأخرى؛ حيث إنها ذات الموضوع المبتكر غير المتداول، ومع ذلك يخوض النقاد فيها محاولين تحقيق صورتها كما جاءت في المخطوط الأول، إلا أننا لا نخوض معهم في هذا، وهو ما ليس فينا بشيء، مما لا يؤدي بنا إلى الكثير في هذا الموضوع.

أصل هذه القصة أحدوثة، وما أصغرها من أحدوثة، جرت على الألسنة تارة فى إنكلترا، وتارة في فرنسا، تلك العبقرية التي تداولتها الألسن نقلًا عنها سائر الأمم، وما كان فيها من مغامرات ملأت ما يكفي لألف ألف لسان، وألف ألف من الروايات والأشعار.

لقد طالع شكسبير هذه الأسطورة، فصورها جملة فى أحسن ما تتصوره حادثة إنسانية، تفصيلًا معنويًّا، ترى وراءها آية من آيات تعمقه

فى الأغوار الإنسانية فى كل حي، مع اختلاف البيئات وتعدد المناشئ والصفات، وتنوع المعايش، لتجد الطمع فتشعر أنه لا يوصف بأروع من ذلك، وتجد الجبن فتقول: لو كان رجلًا لكان هو هو نفسه الجبن، وتلمح الحقد وكراهية النفس فكأنك تراه فى فلان وفلان... هكذا جمع العبقري كل هذه الأغوار الإنسانية فى شخصية واحدة، بل وبعضها فى شخص واحد.

فإذا انتقلنا إلى التمثيل الجمالي فترى أنه أصلح ما يكون لتزدان به النفس الإنسانية الصالحة التي لا تترك نفسها للآخرين من ذوي الأهواء والنفوس الشريرة، فما أجمل من ذلك رسم حسى للنواقص البشرية، والكمال الإنساني كذلك وحب الخير، كما فى الشخصية التي كشفت الخير ولو كان على حساب حياتها.

إنها العبقرية التي طفق يُهيء أجزاءها، ويرتب مشوقاتها، ويصل الأسباب والخيوط الفكرية الدقيقة ما بين أولها وغايتها.

فما بالك بعد جمال ذلك الكساء اللفظي، وأزواجها من المعاني التي اكتست بها..!!

إن المعاجم على ضخامتها وسعتها لهي ضئيلة أمام متناسقات الجمل والتعابير الإنسانية، وكأنها الطبيعة خلقت بمفاتنها بين يديه حين يصور منها حكمة نتعلم منها، وما زالت تلك الحكمة هي إلهام الكثيرين والكثيرين من العباقرة الذين ينهلون من عظمة ذلك الكائن شكسبير.

شخصيات مسرحية

الملك لير

لير : ملك بريتانيا.

ملك فرنسا.

جونريال:

ريغان:

كورديليا: بنات الملك لير.

الدوق سرغندي.

الدوق كورنوال: زوج ريغان.

الدوق أولباني: زوج جونريال.

إيرل غلوستر.

إدكار: ابن غلوستر.

إدمون: ابن غير شرعي لغلوستر.

كوزان: من رجال البلاط.

أزوالد: كبير الخدم عند جونريال.

طبيب.

ضابط في خدمة إدمون.

رجل عجوز: مستأجر احد املاك غلوستر.

بهلول.

سيد من حاشية كورديليا.

خدم لكورنوال.

منادٍ.

ضباط – فرسان في حاشية الملك لير.

جند وأتباع – رسل.

المكان، بريتانيا.

الفصل الأول

المشهد الأول

(قاعة احتفالات في قصر الملك لير)

(يدخل كنت وغلوستر وإدموند)

كنت : لقد كان ظني أن جلالة الملك يُفضل دوق أولباني على دوق كورنوال.

جلوستر : وقد كنا نظن ذلك، ولكن الآن لا يمكننا أن نعرف أيهما يفوق الآخر في مكانته لديه.

كنت : أليس هذا ولدك يا سيدي؟

لقد كان لي شرف تربيته يا سيدي، ولكم كان لي الشرف أن أعترف بنسبه إليّ.

كنت : لا أفهم ما تقول.

غلوستر : لقد كانت أُم هذا الشاب... ألا تفهم ما أعنيه؟ ألا تشتمّ رائحة إثم ما؟

كنت : ليتك ما ارتكبتها، وعلى الرغم من ذلك خرجت ثمرتها الآن طيبة.

غلوستر : ولكن لي ابن آخر يا سيدي، ابن شرعي يكبره بعام، لقد كانت أمه جميلة، لكني لا أستطيع إلا أن أقر بأن ابن الحرام هذا هو ولدي، أتعرف هذا السيد النبيل يا إدموند؟

إدموند : لا يا مولاي.

غلوستر : إنه لورد كنت، وهو صديقي الشريف.

كنت : إني أحبك، وأود أن أتعلم المزيد منك.

إدموند : إنه لشرف لي، وأتمنى أن أكون عند حُسن ظنك يا سيدي.

غلوستر : لقد عاد من الخارج بعد غياب دام تسع سنوات، ولسوف يرحل ثانية، ها هو الملك قد أتى.

(صوت بوق، يدخل شخص حاملاً تاجًا يتبعه الملك لير ومعه كورنوول وأولباني وجونريل وريغان وكورديليا والحاشية)

لير : اذهب يا غلوستر وكُن في صُحبة ملك فرنسا ودوق برغندي.

غلوستر : سمعًا وطاعةً يا مولاي.

(يخرج غلوستر ومعه إدموند)

لير : (ينظرون على خريطة) والآن أيها السادة، إننا قد قسمنا مملكتنا إلى ثلاثة أقسام، كل واحدة شباب من الفتيان، فقد كان لنا من الشيب والقبر +ردًّا، لذا قد قررنا أن نستريح، فأنت يا ولدنا دوق كورنوول، وأنت دوق أولباني،

أريد أن تستمعا إليّ؛ فقد كانت نيتنا أن نعلن عن حصة كل من بناتنا، كي نتفادى ما قد ينشب من خلاف في المستقبل، إن ملك فرنسا ودوق برغندي يتصارعان على حب ابنتنا الصغرى، وقد آن الأوان أن ينالا جوابًا، والآن يا بناتي: أخبرنني من منكن يُحببن شخصنا أعمق الحب؟ لذلك فإننا سنعطي النصيب الأكبر لتلك التي تجمع بين الجدارة والحُب، ابدئي أنت الكلام يا جونريل.

جونريل : مولاي، أنت أغلى عندي من نور عيني ومن الحرية ومن كل ما هو نادر وثمين، فأنت لي حياة ملؤها الجمال والمجد، ولا يقل حبي لك عن حب أية فتاة لأبيها، لذا تكون النفس عاجزة عن كل تعبير؛ لأنه يفوق كل هذه الحدود.

كورديليا (لنفسها): وما فائدة كلامي؛ فإني لا أُحسن الكلمات المعسولة، يكفيني أن أُحب أبى في صمت.

لير : جعلناك سيدة على كل هذه المنطقة ملكًا لك ولذريتك وذرية دوق أولباني، ما الذي تقوله لنا ابنتنا الثانية ريغان زوجة كورنوول؟

ريغان : لقد وصفت شقيقتي نفس حبي لك، وإن كانت قد قصرت بعض الشيء.

ها أنذا هنا أقر بأني لا أجد سعادتي الحقة إلا في حبك

أنت يا مولاي.

كورديليا (لنفسها): مسكينة يا كورديليا! ولكني على يقين من أن حبي يفوق فصاحة لساني.

لير : هذا الثلث الشاسع من مملكتنا الجميلة لك ولذريتك إلى الأبد، وهو لا يقل عما وهبناه لجونريل. والآن يا بهجة حياتي وآخر بناتي وأصغرهن، أنت يا من يتنافس على حبك كروم فرنسا وألبان برغندي ماذا تقولين؟ قولي ما عندك.

كورديليا : لا شيء يا مولاي.

لير : لا شيء؟

كورديليا : لا شيء.

لير : لا شيء! تكلمي.

كورديليا : إني فقط يا صاحب الجلالة أُحبك، لا أكثر ولا أقل.

لير : ماذا تقولين يا كورديليا؟ أصلحي من كلامك، وإلا فلسوف لا تنالين ما لك يا صغيرتي.

كورديليا : مولاي الكريم، إنى أُطيعك وأحبك، لكن السيد الذي سيتزوجني سيسعده أن يأخذ معه أيضًا نصف ما أشعر به نحوك من حب وواجب، لا، لا، فإني لن أتزوج مثلما تزوجت أختاي زواجًا لا أحب فيه أحدًا سوى أبي.

لير : أتتكلمين من قلبك؟

كورديليا : نعم يا مولاي الكريم.

لير : يا لحداثة سنك وقسوة قلبك؟

كورديليا : لكني يا مولاي صادقة.

لير : حسن إذن، ليكن صدقك، وها أنذا أقسم بأني اتخلّى عن رعايتي لك وأتبرأ منك، وستكونين كالغريب عليّ وعلى قلبي، انت يا من كنت ذات يوم ابنة لي.

كنت : مولاي الكريم.

لير : اسكت يا كنت، لا تحشر نفسك بين فكي الوحش وغضبه، هيا اغرب عن ناظري.. أحضروا ملك فرنسا، ماذا؟ أأصابكم الشلل؟ اذهبوا وادعوا أمير برغندي أيضًا، استمعا إليّ يا كورنوول وأولباني، أضيفا إلى نصيبكما نصيب تلك الجاحدة الثالثة، ها أنذا الآن أترك لكما سلطتي وسلطاني، أما فيما يهمنا أننا سنقيم مع كل منكما شهرًا بالتناوب، مكتفين بحاشية من مائة فارس تتكفلان أنتما بنفقاتهم، وسنحتفظ لشخصنا فقط بلقب الملك وما يتبعها من مراسيم.

كنت : يا مليكي لير، يا راعيًا لي.

لير : إن الغضب لشديد يا كنت فابتعد الآن.

كنت : دعه يفلت حتى وإن اخترق قلبي.. ماذا تريد أن تصنع أيها العجوز؟ أتظن أن الواجب سيجبن حينما يستسلم

الملك للطيش. احتفظ بدولتك، تروَّ في الأمر، وضع حدًّا لهذا الطيش، إني أراهن بحياتي على أن صغرى بناتك أفضلهن.

لير : كفى أيها الوقح.

كنت : ما حياتي إلا كسيف أحارب به أعداءك، ما خشيت أبدًا أن أفقدها طالما كان الدافع هو سلامتك.

لير : اغرب عن وجهي.

كنت : لا، دعني أبقي عينيك مفتوحتين.

لير : قسمًا بربي...

كنت : قسمًا بربي أيها الملك، إنك لتعبث بحياتك عبثًا.

لير : يا وغد!!

(يضع يده على سيفه)

أولباني : أتوسل إليك يا مولاي.

كنت : امض واسترد ما وهبت، وإلا فطالما كان لي صوت في الدنيا أصرخ به لأقولن بئس ما فعلت.

لير : استمع لي أيها الخائن، بما أنك بلغت من الكبرياء بحيث إنك حاولت أن تقف بين قرارنا وسلطاتنا، وهذا ما لا يحتمله طبعنا، ولكي نبرهن لك على أنه ليس مُجرد تهديد، ليكن هذا جزاءك؛ فقد تركنا لك مهلة خمسة أيام لتستعد فيها بما تحتاجه من المئونة، وفي اليوم

السادس يجب أن تخرج من مملكتنا، وإذا وجدناك في اليوم العاشر كان عقابك هو الموت، اذهب بحق جوبتير.

كنت : وداعًا أيها الملك، فما الحرية إلا التي تعيش بعيدًا، وما المنفى إلا التي تقطن هنا، وبين قدميك.

(إلى كورديليا): لترعاك الآلهة أيتها العذراء صاحبة الفكر والقول الحق.

(إلى جونريل وريغان): أما أنتما فلعلكما تصدقان في كلامكما.

(يخرج)

(يسمع صوت أبواق، يعود غلوستر ومعه ملك فرنسا وأمير برغندي وحاشية)

جلوستر : مولاي، لقد وصل على بابكم ملك فرنسا وأمير برغندي.

لير : سيدي أمير برغندي، قل لي ما هي أحقر هدية زواج تطلبها معها الآن؟

برغندي : يا صاحب الجلالة، لا أطلب أكثر مما عرضته، لن تعرض أقل منه.

لير : هكذا كان قدرها، أما الآن فقط هبط ثمنها. سيدي ها هي أمامك الآن، فإذا كان يستهويك شيء فيها مصحوبًا بغضبنا وتعتبره جديرًا بشخصك النبيل فهي

لك.

برغندي : ليس لي جواب على هذا.

لير : الأن وقد عرفت أنها الآن قد أصبحت كالربيبة معها سخطنا والتبرؤ منها هل تريد أن تأخذها أو تتركها؟

برغندي : عفواً. ليس بوسع أحد أن يختار في مثل هذه الظروف.

لير : لتتركها إذن يا سيدي.

(إلى ملك فرنسا): أما أنت فإنني لا أريد أن أزوجك بمن أكره.

ملك فرنسا : إنه لأمر عجيب! لقد كانت منذ لحظات أعز شخص عندك وإذا بها في غمضة عين تقترف إثمًا رهيبًا، لا بد أن يكون ذنبها شنيعًا ووحشيًّا لكي ينتقم منه الحب القديم الماضي، وهذا شيء لا يمكنني أن أصدقه عنها.

كورديليا : أتوسل إليك يا صاحب الجلالة أن تعلن أن الذي حرمني عطفك ومحبتك لم يكن من الرذيلة أو فعلًا ينافي العفة والشرف، بل هو شيء أعدّ نفسي غنية بدونه، ألا وهو لسان قوال كما لهنّ.

لير : ليتك ما خرجت إلى الحياة كي لا تسببي لي هذا الكدر.

ملك فرنسا : أهذا هو كل ما في الأمر؟ تحفّظ في الطبع، يا أمير برغندي، ماذا تقول للأميرة؟ إن الحب ليس حبًّا حين

تشويه اعتبارات دخيلة، أتقبلها زوجة لك؟ إنها في ذاتها هدية نفيسة.

برغندي : يا صاحب الجلالة، أعطني فقط تلك الحصة التي اقترحتها لها وسآخذها.

لير : لا شيء.

برغندي : وأنا لست بآخذ امرأة تفقد أبًا مثلك يا مولاي، فقد تفقد زوجًا أيضًا.

كورديليا : إذًا فإن كان ما تُحبه هو المركز والثروة فلن أكون لك زوجة.

ملك فرنسا: أيتها الأميرة الحسناء كورديليا، إنك بفقرك غنية كل الغنى، إنني أعلن هنا أنني آخذك بفضائلك، إن ابنتك التي جردتها من كل شيء يا صاحب الجلالة قد أصبحت من نصيبنا وهي الآن ملكتنا وملكة فرنسا الجميلة، ودّعي أهلك يا كورديليا وإن كانوا قساة عليك.

لير : هي لك يا ملك فرنسا، لتكن ملكتك إن شئت، اذهبا دون أن يصحبكما عطفنا وحبنا وبركاتنا، تعال يا أمير برغندي النبيل.

(صوت أبواق، يخرج لير وبرغندي وكورنوول وأولباني وغلوستر والحاشية)

ملك فرنسا : ودعي أختيك.

كورديليا : يا جوهرتي أبي، انا اعرفكما على حقيقتكما، ليكن أبي موضع حبكما .. وداعًا.

ريغان : لا تخبرينا بواجبنا.

جونريل : ليكن شغلك الشاغل الآن هو إرضاء زوجك الذي اخذك خاوية الوفاض.

كورديليا : ستظهر الأيام ما يخفيه المكر والرياء، اتمنى لكما التوفيق.

ملك فرنسا : تعالي يا جميلتي.

(يخرج ملك فرنسا وكورديليا)

جونريل : لديّ الكثير من الأمور أود أن أحدثك عنها، أظن أن أبي سيرحل هذا المساء.

ريغان : بكل تأكيد، سيرحل معك، وفي الشهر التالي سيقيم معنا.

جونريل : أرأيت كيف أنه أصبح سريع التغير والتقلب؟

ريغان : إنه ضعف الشيخوخة، وإن كان دائمًا عاجزًا عن معرفة نفسه.

جونريل : لقد كان متهورًا دائمًا حتى في أفضل مراحل عمره وأقواها، وعلينا أن نتوقع أن يحدث منه غرابة الأطوار التي تصاحب الشيخوخة.

ريغان : نعم، من المحتمل أن نرى منه تلك النزوات الفجائية.

جونريل : لا يزال عليه أن يقوم بتوديع ملك فرنسا رسميًا، على الرغم من اعتزاله مقاليد الحكم، فلن يكون في ذلك خير لنا.

ريغان : ينبغي لنا أن ندرس المسألة بمنتهى الدقة.

جونريل : نعم، لا بد أن نعمل شيئًا، وذلك قبل فوات الأوان.

(تخرج جونريل وريغان)

المشهد الثاني

(قلعة النبيل غلوستر)

(يدخل إدموند ممسكًا بخطاب في يده)

إدموند : فيم صبري على جحيم العرف، ولِمَ أسمح لما بدا من المشرعين بحرماني من ميراثي إلا لأني أصغر من أخي +اثني عشر؟ لماذا يدعونني بابن الحرام؟ على الرغم من أنني لا أقل عنه شبهًا بأبي؟ لماذا يدمغوننا بالزنا؟ إذن يا إدغار، أيها الابن الشرعي، لا بد لي أن أضع يدي على الأرض، إن والدنا لا يفرق في حبه بين الابن غير الشرعي والشرعي! حسن، لو نجحت خطة إدموند الوضيع على الابن الشرعي سأنمو وأثري، أيتها الآلهة دافعي عن أولاد الحرام.

(يدخل غلوستر)

غلوستر : أهكذا ينفى كنت؟ ويرحل ملك فرنسا عنا غاضبًا؟ ويذهب الملك لير بعد أن حد من سلطانه كل هذا فجأة؟ إيه يا إدموند؟ ما عندك؟

إدموند : لا شيء يا مولاي.

(يخفي الخطاب في جيبه)

غلوستر : لماذا تُخفي هذا الخطاب في جيبك.

إدموند : لا شيء يا مولاي.

غلوستر : ما تلك الورقة؟

إدموند : لا شيء يا سيدي؟

جلوستر : لا شيء؟ ولماذا إذن تُسرع في إخفائها؟ أطلعني، تعال.

إدموند : أتوسل إليك يا سيدي أن تعفيني، إنه خطاب من أخي لم أكمل قراءته.

غلوستر : أعطني هذا الخطاب يا سيدي.

إدموند : إنني مسيء إن أعطيته أو إن سلمته، إن محتوياته لفيها ما يُلام عليه.

غلوستر : لننظر إذًا.

إدموند : أرجو أن يكون هذا الخطاب لصالح أخي، ولكي يختبر فيه مدى إخلاصي لك لا أكثر.

غلوستر : (يقرأ الخطاب) "إن السياسة لهي الشيخوخة المبكرة لنا ونحن في زهرة العمر، وهي تحول بيننا وبين ثروتنا، لقد بدأت أحس بأن ظلم هذا الطاغية العجوز مرده عبودية وضعف منا، لذا فإننا نحتمله، تعال إلي لكي نتحدث سويًا في ذلك.. إدغار".

إنها مؤامرة! إدغار ابني كتب بيده هذا الكلام؟ متى جاءتك هذه الرسالة؟ ومن سلمها لك؟

إدموند : لم يسلمها لي أحد، وما ذلك إلا مكر وخداع وضيع، لقد وجدتها في نافذة غرفتي.

غلوستر : أمتأكد من أن ذلك الخط هو خط أخيك؟

إدموند : تمنيت لو لم يكن خطه.

غلوستر : أهو خطه؟

إدموند : هو خطه بلا شك.

غلوستر : ألم يتحدث معك في هذا الموضوع من قبل.

إدموند : أبداً يا سيدي، وإن كنت قد سمعته مراراً يقول: حينما يبلغ الأبناء عليهم أن يكونوا أوصياء على الأب في كل شيء.

غلوستر : المجرم، ذلك الشاذ الحقير! أحط الحيوانات! اذهب يا إدموند وابحث عنه، سألقي القبض عليه، أين هو الآن؟

إدموند : لا أدري يا سيدي، ولكن علينا يا مولاي إن شئت أن نتأكد من الموضوع أولاً، إنني أراهن بحياتي على أنه لم يكتب هذا الكلام إلّا لكي يختبر مقدار حبي لك يا مولاي، لا لأي شر.

غلوستر : أتظن ذلك؟

إدموند : إن وافقت يا سيدي قمت بمقابلته في مكان يمكنك منه

أن تستمع إلى كل كلامنا ويطمئن قلبك، سأهيئ ذلك في هذا المساء.

غلوستر : لا، إنه ولدي، لا يمكن أن يكون... ألهذا الحد؟!

إدموند : يقينًا لا.

غلوستر : يا للسماء والأرض! اذهب يا إدموند ودبر هذه المسألة، فإني أريد أن أتأكد من هذا الموضوع.

إدموند : سأذهب في التو.

غلوستر : إن حكمة الطبيعة تجد لها عدة تفسيرات يقبلها العقل، فالحب يفتر والصداقة تنهار، وينشق الأخ على أخيه، وتنشأ العداوة بين الابن وأبيه، فها هو ذا الوغد ابني يثور على أبيه، فتش عنه وكن حريصًا، آه.. فها هو ذا كنت النبيل قد حكمنا عليه بالنفي، وما هي جريرته؟ أمانته! إنه لأمر عجيب.

(يخرج)

إدموند : هكذا يجد الإنسان الفاسق مهربًا رائعًا لنفسه.. إدغار. (يدخل إدغار) ها هو ذا يقبل مثل الكارثة في المسرحية القديمة، وما دوري أنا إلا تمثيل الكآبة الشقية والتنهد، آه!

(يغنّي) : فا – صول – لا – مي.

إدغار : كيف حالك يا أخي؟ فيم تفكر؟ ولِمَ الوجوم هكذا؟

إدموند : افكر يا أخي في نبوءة قراتها منذ بضعة أيام.

إدغار : نبوءة؟ اترك عنك هذا الهراء.

إدموند : أقول لك إن ما تتنبأ به يتحقق للأسف، مثل فقدان الحب الطبيعي بين الأبناء والآباء، واللعنات والتهديدات، والشكوك التي لا مبرر لها، ونفي الأصدقاء.

إدغار : ومنذ متى وأنت تؤمن بالتنجيم؟

إدموند : منذ آخر مرة رايت أبي فيها ؟

إدغار : بالأمس.

إدموند : هل تحدثت إليه؟

إدغار : نعم، ساعتين كاملتين.

إدموند : وهل كنتما على وئام؟

إدغار : لِمَ السؤال ؟

إدموند : هل تذكر أنك جرحت شعوره في شيء؟ أتوسل إليك أن تتجنبه حتى تهدأ ثورته.

إدغار : لا بد أن وغداً قد وشى بي.

إدموند : هذا هو ما أخشاه يا أخي، أرجوك تجنب أبي حتى يهدأ، تعال وانزل عندي ببيتي، وسأهيئ الأمر بحيث تستطيع أن تختبئ وتسمعه يتحدث عنك، لا تنس أن تمش بسلاحك يا أخي.

إدغار : سلاح يا أخي؟

إدموند : أجل.. لقد أخبرتك بما رأيته وسمعته.. أتوسل إليك أن تذهب.

إدغار : وهل ستأتيني قريبًا ؟

إدموند : أجل يا أخي. (يخرج إدغار) أب أبله يصدق كل شيء، وأخ نبيل! لأحصلن على الميراث بدهائي إن لم أحصل عليه بحق ميلادي.

(يخرج إدموند)

المشهد الثالث

(غرفة في قصر دوق أولباني)

(تدخل جونريل وأوزولد رئيس خدمها)

جونريل : أصحيح أن أبي ضرب حاجبي؟

أوزولد : نعم يا مولاتي.

جونريل : يا له من شيخ هرم، ليل نهار يسيء إليّ.. لا، لن أحتمل ذلك بعد الآن، إن فرسانه يزدادون صخبًا وهو ينتهرنا لأتفه الأسباب، لن أتحدث إليه عندما يعود، قل له إني متوعكة، وقصّر في خدماتك له، ولا تخش شيئًا؛ فإن المسئولية تقع عليّ أنا.

أوزولد : إنه قادم يا مولاتي..

(صوت أبواق من الداخل)

جونريل : اجعلوا الإهمال وسيلتكم؛ فإني أريد أن أستثيره لمناقشة الوضع، وإن لم تعجبه الحال فليذهب إلى أختي التي توافقني على ذلك، ما أحمقه من رجل عجوز! فإن الشيوخ الحمقى يعودون أطفالًا من جديد، وعلى المرء أن

يكبح جماحهم، تذكر ما قلته لك.

أوزولد : حسنًا يا سيدتي.

جونريل : ولتظهروا لفرسانه برودًا، وسأكتب مباشرة إلى أختي لكي تفعل معه نفس الشيء، جهز العشاء.

(يخرجان)

المشهد الرابع

(قاعة في نفس القصر)

(يدخل كنت متخفيًا)

كنت : إن أمكنني أيضًا أن أُغير من صوتي فقد أصل إلى ما أُريد، إيه يا كنت المنفي، فإن مولاك الذي تكن له الحب قد نسيك.

(أبواق صيد من الداخل - يدخل لير - وفرسان وحاشية)

لير : لا تجعلني أنتظر العشاء ولو لحظة واحدة، اذهب واطلب منهم أن يعدّوه. (يخرج أحد الحاشية) إيه؟ من أنت؟

كنت : رجل يا سيدي.

لير : ماذا تعمل؟ وماذا تريد منا؟

كنت : أخدم مخلصًا من يثق بي، وأحب من كان صادقًا، أقاتل حين لا سبيل إلّا القتال.

لير : من أنت؟

كنت : رجل صادق شديد الإخلاص، وفقير مثل الملك.

لير : إذًا، ماذا تريد؟

كنت : أن أخدم.

كنت : تخدم من؟

كنت : أخدمك أنت.

لير : أتعرف من أنا أيها الرجل؟

كنت : لا يا سيدي، ولكني أرى في هيئتك ما يجعلني أريد أن آسميك سيدًا.

لير : وما هو ذلك؟

كنت : السلطان.

لير : وأي خدمات تستطيع أن تؤديها؟

كنت : أستطيع أن أكتم السر إن كان شريفًا، أن أركب الخيل، وأن أبلّغ رسالة، فأنا مؤهل لأي عمل، وأهم ما أتميز به هو الاجتهاد.

لير : كم عمرك؟

كنت : لست حديث السن يا سيدي حتى أقع في حبال امرأة لغنائها، ولست كبير السن بحيث أعشقها، أحمل من السنين ثمانيَ وأربعين.

لير : اتبعني وستخدمني، العشاء يا ناس، أين الشقي بهلولي؟ اذهب أنت واطلب من بهلولي أن يأتي إليّ.

(يخرج أحد الحاشية)

(يدخل أوزولد)

انت يا رجل، قل لي، أين ابنتي؟

أوزولد : اسمح لي.

(يخرج)

لير : ماذا قال ذلك الإنسان؟ اذهب وائتني بذلك الأبله. (يخرج فارس) يبدو أن الناس نيام؟ (يعود الفارس) ماذا حدث؟ أين ذلك الكلب؟

الفارس : يقول يا مولاي أن ابنتك متوعكة.

لير : ولماذا لم يأتِ ذلك الكلب حين ناديت عليه؟

الفارس : مولاي، لقد كان رده وقحًا، فقال: إنه لا يريد أن يعود.

لير : لا يريد!

الفارس : مولاي، أرى أن ابنتك وحاشيتها لم يُعاملوك كما كانوا من قبل بحفاوة ومحبة وإكرام.

لير : أتقول ذلك؟

الفارس : أرجوك أن تغفر لي يا مولاي، ولكن من واجبي أن أنصحك قبل أن تحدث منهم أي إهانة تلحق بجلالتك.

لير : لقد أيقظت ظنوني، لقد أحسست ببعض الإهمال، أخيراً سأبحث الموضوع، ولكن أين بهلولي؟ إنني لم أره منذ يومين.

الفارس : إن البهلول في فراش المرض منذ رحيل سيدتي الصغرى إلى فرنسا يا مولاي.

لير : وقد لاحظت ذلك أيضًا، اذهب أنت وقل لابنتي إنني أود أن أتحدث إليها. (يخرج أحد الحاشية) أنت اذهب وادع لي بهلولي.

(يخرج أحد الحاشية)

(يعود أوزولد)

أنت يا هذا، تعال هنا، قل لي من أنا؟

أوزولد : والد سيدتي.

لير : والد سيدتي! أنت يا ابن العاهرة، يا كلب.

أوزولد : قل كما تشاء.

لير : أتردّ عليّ يا دنيء؟ (يصفعه)

أوزولد : لا يا سيدي، لن أسمح بأن يصفعني أحد.

كنت : بل ويوقعك يا حقير. (يوقعه)

لير : أشكرك يا رجل، إنك تحسن خدمتي.

كنت : انهض واخرج يا كلب، سأعلمك كيف تحترم أسيادك.

(يخرج أوزولد): مع السلامة.

لير: أشكرك يا خادمي المخلص، وتلك هى أتعابك.

(يعطي كنت نقودًا)

(يدخل بهلول)

بهلول : دعني أستأجره أنا أيضًا، هاك طرطوري.

(يقدم طرطوره لكنت)

لير : أهلًا، أهلًا، يا ولد يا ظريف، كيف حالك؟

كنت : ولماذا يا بهلول؟

بهلول : لماذا؟ لأنك تعضد الطرف الخاسر، ألا ترى أن هذا الرجل قد نفى اثنتين من بناته وبارك الثالثة ضد إرادته؟ لذلك فإن تبعته فعليك أن ترتدي طرطوري، ليت لي طرطورين وابنتين!

لير : ولماذا يا ولد؟

بهلول : لأنه إن أعطيتهما كل ما أملك أمكنني أن أحتفظ بطرطوري.

لير : حذار، وإلا فالسوط عقابك.

بهلول : الحقيقة كالكلب يضرب بالسوط ويطرد إلى الخارج، بينما حضرة الكلبة برائحتها الكريهة يسمح لها بالبقاء بالداخل للتدفئة قرب النار.

لير : يا له من ألم مرًا!

بهلول : أتريد أن أعلمك حكمة تقولها يا سيدي؟

لير : افعل.

بهلول : تأمل يا عمي.

لتطهرنْ أكثر مما تملكنْ

وَلتلفظن أقل مما تعلمن

ولتقرضن أقل مما تملكن

ولتركبن أكثر مما تمشين

لا تؤمنن بكل ما قد تسمعن

ولا تقامر مرة واحدة بكل ما قد تكسبن

لا تقرب الخمر ولا تزْنِ

ولا تعش إلا في عقر دارك

يكن لك

أكثر من عشرين شيئًا يا فتى

في كل عقدين لك

كنت : هذا لا شيء يا بهلول.

بهلول : إذن، ألا يمكنك أن تستفيد من لا شيء يا عمي؟

لير : طبعًا لا يا غلام.

بهلول (إلى كنت): اخبره فقط أن هذا هو كل ما تبقى له من مملكته.

لير : يا لك من بهلول مر!

بهلول : أتعرف الفرق بين بهلول مرّ وبهلول عذب يا ولدي؟

لير : لا يا صبي، علمني.

بهلول : إن الذي قد نصحكْ

أن تهب البنتين ملككْ

دعه يقف بجانبي

وتعالَ مثّل دوره معي.

حينئذٍ يتضح الفارق.

لير : أتدعوني بهلولًا يا ولد؟

بهلول : لقد أعطيت للغير كل ألقابك، أما هذا اللقب فهو ما كنت تحمله عندما ولدت.

كنت : إن هذا الرجل يا سيدي لا يمثّل البهلول وحده.

بهلول : لا، فالنبلاء يحولون دون ذلك.. أعطني بيضة يا عمي أعطيك تاجين.

كنت : وأي تاجين يكونان؟

بهلول : بعد أن أكسر البيضة وآكل ما تحتويه يبقى لك من قشرها تاجان، ثم أعطيت كليهما للآخرين، فما ذلك إلا دليلًا على ما في تاج رأسك الأصلع من غباء، فليدرك من يدرك صدق ما أقوله.

(يغني)

ما كانت البهاليل منبوذة كما هي الآنا

فالعقلاء قد غدوا حمقى ومجّانا

لا يعرفون كيف يرتدون عقلهم آنا

وهم يقلدون كالقرود في سلوكهم آنا

لير : منذ متى وأنت تُغني يا غلام؟

بهلول : منذ جعلت من كلتا ابنتيك أما لك، فحينما وهبتهما

العصا وخلعت عنك سراويلك مضتا تبكيان من الفرحة،
وغنّيت من حزني المفرط؛ لأن مليكًا كشخصك يلهو مع
الصبية، ويندسّ في زمرة البهاليل والهُبْل.
أرجوك يا عمي أن تخصص لي مدرّسا ليعلّمني الكذب
والرياء، بودّي أن أتعلم الكذب.

لير : وذلك هو ما حملنا على جلدك.

بهلول : لقد احترت في وجه القرابة بينك وبين ابنتيك، هما
تأمران بجلدي لأني أقول الصدق، وأنت تأمر بجلدي
لقولي الكذب، وقد يؤمر بجلدي لعدم قولي أي شيء، ومع
ذلك فلا أريد أبدًا أن أكون أنت يا عمي، وها هي تلك
إحدى القشرتين.

(تدخل جونريل)

لير : ماذا في الأمر يا ابنتي؟

بهلول : كنتَ بارعًا قبل ذلك، أما الآن فما أنت إلا صفرًا لا
قيمة له، فأنا أفضل منك الآن لأني بهلول، أما أنت فلست
شيئًا.
(إلى جونريل): سأسكت، هكذا يأمرني وجهك أن أفعل.
اخرسْ، اخرس، يا حسرة
من لا يحتفظ لنفسه بالكِسْرة
ولا يهتم بشيء بالمرة

لا شك ستعوزه الكِسرة

هذا قشرة بازلاء لا غير

(مشيرًا إلى لير)

جونريل : سيدي، إن رجال حاشيتك عديمي الأدب يتشاجرون كل ساعة، ولقد كنت أظن أنك ستصلح الأمر إن أطلعتك على حقيقته، ولكني وبعد فوات الأوان أخشى أنك تشجعهم على هذا المسلك، فلا بد من إصلاح الحال لما هو في صالح البلاد، رغم ما فيها من جرح مشاعرك، ولكنها سياسة حكيمة تفرضها علينا الضرورة.

بهلول : إذ تعلم يا عمي

أخذ العصفور حينًا

يُطعم الوقواق حتى

قضم الوقواق رأسَه

وهو ما زال صغيرًا

وهكذا ذوت الشمعة، وأمسينا في الظلام الدامس

لير : أأنتِ ابنتنا؟

جونريل : ليتك تترك نزواتك تلك التي تقوم بها في الأيام الأخيرة ما جعلتك خارجًا عن طبيعتك السويّة.

بهلول : ألا يدرك حمار متي تجرّ العربةُ الحصان؟

لير : أيوجد هنا من يعرفني؟ إنني لست لير.. أصَحيح أنا؟ من

يخبرني من أنا؟

بهلول : أنت ظلّ لير؟

لير : ليتك ما كنت ابنتي.

بهلول : بنات يحجرن عليك في مُلكك.

لير : ما اسمك أيتها السيدة الحسناء؟

جونريل : اترك عنك تلكك الألاعيب يا سيدي، إني أرجوك أن تفهم قصدي مثلما أنت شيخ وقور، إنك تحتفظ هنا بمائة فارس وتابع، رجال متهتكين معربدين وقحين، أصابت عدواهم بلاطَنا حتى غدا شبيهًا بحانة، لذا أرجوك، وإن لم تمتثل لرجائي أخذتُ ما أنا أرجوه قسرًا وعنوة، فعليك أن تقلل من عدد حاشيتك وأن تجعل البقية ممن يلائمون سنك.

لير : يا بنت الحرام، يا فاسدة، أسرجوا جيادي وادعوا حاشيتي، فما زال لديّ بنت أخرى.

(يدخل أولباني)

لير : أراك قد جئت يا سيدي، أهذه مشيئتك؟ جهزوا خيلي، يا شيطانًا قلبه من رخام.

أولباني : أرجوك يا سيدي أن تتجمل بالصبر.

لير (إلى جونريل): أيتها الحدأة الكريهة، إن حاشيتي تتألف من صفوة الرجال وأشرفهم، آه يا لير، يا لير، يا لير، اقرع

هـذا البـاب الـذي سمـح للحمقـى بالـدخول فيـه. (يـضرب رأسه).. هيا، هيا يا رجالي.

أولباني : مولاي، ليس لي ذنب في ذلك، ولا أدري ما السبب.

لير : ربمـا يـا سـيدي، أيتهـا الطبيعـة اسـتمعي، فـإن كنـت تريـدين أن تُعطـي لتلـك المخلوقـة ذريـة فـلا تعطينهـا، فـلا ينبت أبدًا مـن جسـدها الـدنيء طفـل تعتـز بـه، وإذا كـان لا بد لها أن تلد فاخلقي ولدها من الحقد وحده حتى يعيش فيكون عذابًا لها، لعلها تشعر حينئذٍ بأن الألم الذي يسببه ولد عاق ما هو إلا من ناب الأفعى، هيّا بنا.

(يخرج)

أولباني : ما سبب هذا؟

جونريل : لا عليـك، فما ذلك إلا خرف الشيخوخة.

(يعود لير)

لير : مـاذا؟ خمسـون مـن أتبـاعي بـضربة واحـدة في خـلال أسبوعين.

أولباني : ما الأمر يا سيدي؟

لير : سأخبرك.

(إلى جونريل): اقسم بالحياة والموت، إني خجل لأنك أفلحت في زعزعة رجـولتي هكـذا، لتنـزل عليـك لعنـة أب بجراحهـا الـتي لا يمكـن تخفيـف آلامهـا فـتخترق كـل حواسـك.. هـل وصـل

إلى هذا الحد؟ آه، فليكن إذن، إن لي ابنة أخرى، وهي بلا شك كريمة ومؤاسية، وبمجرد أن تسمع بما فعلت ستسلخ بأظافرها جلد وجهك الذي هو وجه الذئب، وسأستعيد ذلك المظهر الذي تظنين أنني خلعته عني إلى الأبد.

(يخرج لير وكنت واتباع)

جونريل : أرأيت بعينيك؟

أولباني : ليس في وسعي أن أتحيز.

جونريل : كفى أرجوك، أوزولد، أين أنت؟

(إلى بهلول): أنت يا حشرة، اذهب واتبع سيدك.

بهلول : عمي لير

انتظر خذ معك البهلول

حين يصيد المرء ثعلبة

عليه أن يأخذها للمجزرة

تصحبها ذي البنت

إن تستطع قبعتي أن تشتري حبلاً

وهكذا البهلول يأتي خلفكم فعلاً.

(يخرج)

جونريل : مائة فارس! يكون له مائة فارس مسلح ليدافعوا عن هرمه وخرفه لمجرد حلم يحلمه أو وهم أو غضب، فيعرضوا

حياتنا للخطر، أوزولد، أوزولد، أين أنت يا أوزولد؟

أولباني : ربما تبالغين في الخوف.

جونريل : خير لي أن أزيل الأضرار التي أخافها من أن أعيش في خوف دائم، لقد كتبتُ إلى أختي بكل ما فعل، فإن هي قبلت..

(يعود أوزولد)

أي أوزولد، هل سطرت تلك الرسالة إلى أختي؟

أوزولد : نعم يا مولاتي.

جونريل : خذ معك بعض الرجال وأسرعوا، هيا اذهب وعُدْ بسرعة.

(يذهب أوزولد)

لا، لا يا مولاي، اسمح لي، إن رقتك هذه ستجعل الناس يتهمونك بعدم الحكمة أكثر من مدحهم لطيبتك الضارة هذه.

أولباني : لا أعلم ما تريدين فعله، ولكن الإنسان عندما يقوم بالإصلاح أحيانًا ما يفسد الصالح فعلًا.

جونريل : لا، أبدًا.

أولباني : على أية حالٍ لنر ما سيحدث.

(يخرجان)

المنظر الخامس

(فناء أمام نفس القصر)

(يدخل لير وكنت وبهلول)

لير : اذهب أنت إلى غلوستر بهذه الرسائل.. هيا بسرعة، وإلا وجدتني هناك قبلك.

كنت : لن تغمض لي عين يا مولاي حتى أسلم رسالتك.

(يخرج)

بهلول : لو كان مخ الإنسان في كعب قدمه فما كان له أن يكون مهدداً بالتورم والتشقق؟

لير : صحيح يا غلام.

بهلول : فلتضحك على ذلك؛ لأنك لن يحتاج مخك إلى لبس الخفّ أبداً.

لير : ها ها ها.

بهلول : أترى أن ابنتك الأخرى ستحسن معاملتك؟ فما هي إلا شبيهة بأختها، وإني أرى ما لا ترى.

لير : وماذا ترى يا غلام؟

بهلول : سكون النصف الآخر من تلك التفاحة التي رعيتها، ألا تعرف لِمَ كان أنف المرء وسط وجهه؟

لير : لا.

بهلول : أنا أقول لك، لكي تكون له عين على كل ناحية من الأنف، فما يعجز عن شمه يستطيع أن يراه.

لير : لقد ظلمتها، هل خيلي جاهزة؟

بهلول : لو كنتَ بهلولي يا عمي لأمرت بضربك لأنك شِخت قبل الأوان.

لير : وكيف ذلك؟

بهلول : كان عليك أن تتعقل قبل أن تشيخ.

لير : أتوسل إليك أيتها السماء ألا تدفعيني إلى الجنون. لا أريد أن يصيبني الجنون.

(يدخل أحد الحاشية)

هيه! هل الخيل جاهزة؟

أحد الحاشية: جاهزة يا مولاي.

لير : تعالَ يا غلام.

بهلول : إن تلك العذراء التي تبتسم لرحيلي لن تظل عذراء طويلاً.

الفصل الثاني

المشهد الأول

(فناء داخل قلعة إيرل غلوستر)

(يدخل إدموند وكوران)

إدموند : السلام عليك يا كوران.

كوران : وعليك يا سيدي، كنت مع أبيك أخبره بأن دوق كورنوول والدوقة ريغان سيزورانه هذه الليلة.

إدموند : وما سرّ ذلك؟

كوران : لا أعرف، ألم تسمع ما يتهامس به العامة.

إدموند : لا، لم أسمع شيئًا، أخبرني أنت.

كوران : ألم تسمع باحتمال قرب نشوب الحرب بين دوق كورنوول ودوق أولباني؟

إدموند : لا، إطلاقًا.

كوران : ربما تسمع به عما قريب، وداعًا يا سيدي.

(يخرج)

إدموند : طالما أن الدوق هنا الليلة سأجد في ذلك ما يعينني على خطتي، إن أبي عيّن حرسًا لاعتقال أخي، وعسى أن يكون حليفي الحظ والسرعة، أخي.. أخي، انزل يا أخي.

(يدخل إدغار)

أبي يتربص بك، اهرب من هنا، لقد اكتشف أين أنت، اهرب الآن وسط ذلك الليل، ألم تنتقد دوق كورنوول من قبل؟ إنه قادم الآن هنا في الليل ومعه ريفان.

إدغار : ولكنني لم أقل ما يجعلني أهرب.

إدموند : إني أسمع أبي قادمًا، فهيا لنصطنع المبارزة، أشهر سيفك أنت أيضًا وتظاهر بالدفاع عن نفسك، وكن جادًا في دفاعك. (بصوت عالٍ) سلّم، وامثل بين يدي والدي.. اهرب يا أخي، هاتوا المشاعل، مع السلامة.

(يخرج إدغار)

لأجعلن قليلًا من الدم على ملابسي كي يظنون أنني كنت أقاتل (يخرج ذراعه). أبي أبي! قف، النجدة.

(يدخل غلوستر وخدم يحملون المشاعل)

غلوستر : أين الوغد؟

إدموند : لقد كان واقفًا هنا في الظلام شاهرًا سيفه ويدعو القمر أن يكون حليف نجاح خطته.

غلوستر : أين ذلك الوغد يا إدموند؟

إدموند : هرب من هنا يا سيدي حين عجز عن..

غلوستر : وراءه، اذهبوا أنتم وطاردوه. (يخرج بعض الخدم): عجز عن ماذا؟

إدموند : عن تحريضي على قتلكم، وحينما أدرك اشمئزازي منه هجم مباشرة عليّ وأنا غير مستعد، فطعنني بسيفه في ذراعي، ولولا شجاعتي لكانت نهايتي، وعليها أدرك أنه لا محالة واقعًا، فولّى هاربًا فجأة.

غلوستر : فليهرب، فلن يظل في هذا البلد دون أن يقبض عليه، ومتى وجدته اقتله، إن سيدي الدوق النبيل سندي الأول قادم الليلة، ولسوف أعلن أن من يجده سيكون جديرًا بثنائنا، بينما من يتستر عليه يكون جزاؤه الموت.

إدموند : عندما حاولت أن أثنيه عن عزمه أجاب قائلًا: يا بن الزنا المعدم.

غلوستر : إنه لوغد صلب شاذ، أقال إنه سينكر رسالته؟ لا، إنه ليس من صلبي. (تسمع أبواق بالداخل): صه، هذه أبواق الدوق، لا أدري لماذا جاء يزورني، يا ولدي لسوف أبعث بصورة هذا العاق إلى شتى أنحاء المملكة حتى يستطيع الناس أن يتعرفوا عليه، أما أنت يا ولدي البار المخلص فسآخذ كل الخطوات اللازمة كي تكون وريثي الوحيد لأملاكي.

(يدخل كورنوول وريغان وأتباع)

كورنوول : كيف أنت يا صديقي النبيل؟ لقد سمعت أخبارًا عجيبة منذ وصولي.

ريغان : وإنها لأخبار صحيحة، كيف أنت يا سيدي؟

جلوستر : لقد انفطر قلبي العجوز، انفطر.

ريغان : أصحيح أن فَلْيُونَ أبي حاول أن يغتالك؟ ابنك إدغار الذي سمّاه أبي؟

غلوستر : آه يا سيدتي، وذلك هو ما أخجل أن أتكلم عنه.

ريغان : ألم يكن مع أولئك الفرسان المشاغبين الذين كانوا يخدمون أبي؟

جلوستر : لا أدري يا سيدتي.

إدموند : أجل لقد كان منهم.

ريغان : إذن فهم الذين أوغروا قلبه على قتل أبيه العجوز لكي يتصروفوا فيما يملك، لقد سمعت هذا المساء فقط كل التفاصيل عنهم من أختي وقد حذرتني منهم، لذا فقد قررت أن أترك القصر إذا أرادوا الإقامة فيه.

كورنوول : وأنا أيضًا أؤكد لك يا ريغان، إدموند، لقد سمعت أنك ابن بار.

إدموند : إنه أبي الذي رباني يا سيدي.

كورنوول : أهو مطارد الآن؟

غلوستر : نعم يا سيدي الكريم.

كورنوول : تصرف كما يحلو لك، إني أترك لك كل السلطات في أمره، أما أنت يا إدموند فلأجل ما فيك من فضيلة الطاعة فقد قررنا أن نجعلك خادمًا لنا.

إدموند : ستجدني خادمًا مُطيعًا يا سيدي، أشكرك يا مولاي.

كورنوول : أتعرف لِمَ جئنا لزيارتك؟

ريغان : إنها أمور طارئة ذات أهمية احتجنا إلى استشارتك فيها، لقد كتب لنا والدنا وكتبت لنا أختنا عن خلافات وقعت بينهما، ورأيت أنه من المُلائم أن نردّ على هذه الرسائل ونحن خارج القصر، وقد تركت الرسل الآن ينتظرون، انصحني يا صديقنا المخلص القديم، إذ نحن في مسيس الحاجة إلي حلّ عاجل.

غلوستر : أنا في خدمتكما يا مولاتي، أهلًا وسهلًا بسموّكما.

(صوت أبواق – يخرجون)

المشهد الثاني

(أمام قلعة غلوستر)

(يدخل كنت وأوزولد كلٌّ من باب)

أوزولد : أيها الصديق، هل أنت من خدم هذه الدار؟

كنت : نعم.

أوزولد : أين نترك خيولنا؟

كنت : في الوحل.

أوزولد : أين بحق محبتك؟!

كنت : أنا لا أحبك.

أوزولد : إذن لا أعيرك أي اهتمام.

كنت : لو كنت في قبضتي لجعلتك تعيرني اهتمامك.

أوزولد : لِمَ تسيئ معاملتي؛ فأنا لا أعرفك؟

كنت : ولكني أنا أعرفك أيها الغلام.

أوزولد : أتعرف من أنا؟

كنت : نعم، عبد حقير مغرور ضحل شحاذ ليس له أكثر من

ثلاث حلل في العام، ولا تزيد ثروته على مائة جنيه، وغد جبان يلوذ بالقانون، ابن عاهرة، لا يتورّع عن ارتكاب الموبقات، يدّعي التدقيق، ويرحب بأن يكون قوّادًا لسيده، وسأضربك إن أنكرت حرفًا واحدًا من تلك الألقاب التي خلعتها عليك.

أوزولد : أي متوحش أنت حتى تقول كل تلك الشتائم والإهانات على رجل لا تعرفه ولا يعرفك.

كنت : أتنكر أنك تعرفني، ألم أوقعك على الأرض وأضربك أمام الملك منذ يومين؟ أشهر سيفك وقاتل أيها الوغد.. (شاهرًا سيفه): أشهر سيفك يا ابن العاهرة يا دنيء.

أوزولد : ابتعد عني، فإني لا أعرفك.

كنت : تأتي هنا برسائل ضد الملك وتحمل البنت على أبيها، سيفك يا صعلوك وإلا قطعت ساقيك، هيا.

أوزولد : النجدة يا ناس، النجدة!

كنت : قف ولا تهرب يا وغد.

أوزولد : النجدة يا ناس، سيقتلني!

(يدخل إدموند وسيفه مسلول)

إدموند : إيه؟ عم تتشاجران؟

كنت : عنك أيها الغلام من فضلك، تعال هنا ودعني أعلمك القتال.

(يدخل كورنوول وريغان وجلوستر وخدم)

غلوستر : ماذا يجري هنا؟

كورنوول : كفّا عن القتال، ماذا حدث؟

ريغان : إنهما رسولا أختنا والملك.

كورنوول : وما سبب النزاع بينكما؟ تكلما.

أوزولد : إني ألهث يا مولاي.

كنت : لا عجب أيها الوغد الجبان.

كورنوول : تكلم، كيف نشأ الخلاف بينكما؟

أوزولد : مولاي، هذا الصعلوك العجوز الذي لم أود قتله.

كنت : يا ابن العاهرة، إن سمحت لي يا مولاي سحقت هذا الوغد بقدمي، رحمة بلحيتي البيضاء يا هزاز الذيل.

كورنوول : اسكت يا هذا، ألا تعرف ما هو الاحترام؟

كنت : نعم، لكن الغضب له أحكامه.

كورنوول : ولماذا أنت غاضب؟

كنت : لأن عبداً رقيقاً كهذا لا يحمل ذرة من الصدق ومع ذلك يحمل سيفاً، أمثاله كالجرذان لا يعرفون غير اتباع أسيادهم.

(إلى أوزولد): أصاب الوباء وجهك! أتبتسم لكلامي كما لو كنت بهلولاً؟ يا إوزة.

كورنوول : أجننت أيها الشيخ؟

غلوستر : كيف نشب النزاع بينكما؟ تكلم.

كنت : ما أنا إلا رجل يكره الكلاب وخاصة ذلك الكلب اللعين.

كورنوول : ولماذا؟ ما ذنبه؟

كنت : شكله لا يعجبني.

كورنوول : فقط؟!

كنت : سيدي، إن واجبي أن أكون صريحاً.

كورنوول : يا له من رجل صادق وصريح يفصح عما يدور في ذهنه ولا بد له أن يقول الحق، إنني أعرف أمثال هذا الوغد فهم وراء هذه الصراحة يخفون من المكر وسوء النية.

كنت : مولاي، أقول صادقاً إن أذن لي شخصكم الذي يشبه فعله في الوجود.

كورنوول : وماذا تريد قوله؟

كنت : إنني يا سيدي لست بالرجل المتملق، أما الذي خدعك بلهجته.

كورنوول : فيم أهنته؟

أوزولد : لم أهنه في شيء، لقد شاء الملك، مولاه أن يصفعني لشيء رفضته، فإذا به يعرقلني من الخلف ويوقعني على الأرض، ويظهر بمظهر البطل مما جعله ينال ثناء الملك، وما هي تلك إلا أنه تهجم عليّ هنا مرة ثانية.

كورنوول : هاتوا الدَهَق، سنلقنك درساً أيها العجوز.

كنت : لقد فُتّ سن التعليم يا سيدي.. أنا أخدم الملك وهو أرسلني إليكم في خدمة له، إنكم حين تضعون رسوله في الدهق إنما تلحقون إهانة شنيعة بشخص مولاي وبجلالته.

كورنوول : قسمًا بحياتي لتحبسن في الدهق حتى الظهر.

ريغان : حتى الظهر؟ لا، حتى الليل، بل الليل بطوله أيضًا.

كنت : يا سيدتي، لو كنتُ كلب أبيك لما عاملتني هذه المعاملة.

ريغان : لأنك من خدمة الأوغاد أعاملك هكذا.

كورنوول : هذا فرد من الذين حدثتنا أختنا عنهم، هيا، أحضروا الدهق. (يحضر الدهق)

غلوستر : أتوسل إليكما ألا تصنعا ذلك، حقًا إن جريرته كبيرة، ولا شك أن الملك سيغضب لهذا الحطّ من كرامته في شخص رسوله حين يعلم بحبسه هكذا.

كورنوول : أنا المسئول عن ذلك.

ريغان : وسيكون غضب أختنا أشد حين تعرف أن رسولها شُتم وضرب، ضع ساقيه في الدهق. (يوضع كنت في الدهق)

كورنوول : هيا يا سيدي، هيا.

(يخرج الجميع ما عدا غلوستر وكنت)

غلوستر : أنا آسف لك يا صاحبي، إنه رجل ذو طبع صعب،

سأتشفع لك.

كنت : أرجوك ألا تفعل ذلك يا سيدي، سأنام بعض الوقت، تصبح على خير.

غلوستر : الدوق هو المسئول وسيكون وقعه أليمًا.

(يخرج)

كنت : أيها الملك الطيب، إن ما يحدث لك يؤيد بلا شك المثل القائل "من لطف السماء إلى قيظ الشمس".

اقترب أيها المصباح من أرضنا الدنيا حتى أستطيع قراءة هذه الرسالة في ضوء أشعتك، أعرف أن الرسالة من كورديليا، فهي لحسن الحظ قد علمت ما أنا أقوم به متنكرًا، اغتنما فرصة الرقاد يا عيني، وأنت أيها الدهر أمسيك بالخير.

(ينام)

المشهد الثالث

(يدخل إدغار)

إدغار : لقد سمعتهم ينادون اسمي، ولحسن حظي استطعت أن أختفي في تجويف شجرة، ما من مكان لا يوجد به حراس ورقابة، لقد قررت أن أتخذ لنفسي مظهرًا لأحط المخلوقات؛ هؤلاء المتسولين المعتوهين، سأصير واحدًا من هؤلاء المجاذيب، توما المسكين، في ذلك بعض الأمل، ولن أكون إدغار بعد الآن.

(يخرج)

المشهد الرابع

(أمام قلعة غلوستر، كنت محبوس في الدهق)

(يدخل لير وبهلول وسيّد)

لير : غريب أن يرحلا عن بيتهما هكذا ولا يجعلان رسولي يعود إليّ.

السيد : على ما أعلم يا مولاي إنه لم يكن في نيتهما الذهاب.

كنت : سلام عليك يا مولاي النبيل.

لير : ماذا؟ أتتسلى هنا داخل هذا الشيء المهين؟

كنت : لا يا مولاي.

بهلول : هيء هيء، الخيل تربط بقيد في رءوسها، والقردة في خصرها، أما البشر فيكون القيد في أرجلهم، حين يكون الرجل صعلوكًا متسولًا.

لير : من ذا الذي أساء إليك؟

كنت : صهرك وابنتك.

لير : لا.

كنت : نعم.

لير : أقول لا .

كنت : وأنا أقول نعم.

لير : محال أن يفعلا ذلك.

كنت : ولكنهما فعلاه.

لير : أقسم بالإله إنه لا يمكن.

كنت : وأنا أقسم بالإله إنهما الفاعلان.

لير : لا يجرءا على ذلك، إنه لأبشع من القتل، أخبرني كيف أمكن أن يفرضوا عليك هذه المعاملة وأنت رسولنا .

كنت : مولاي، كنت في قصرهما أسلمهما خطابات جلالتك، وما هي إلا لحظات حتى دخل رسول جونريل، وقد سلّمهما الخطابات، وفي الحال قرآها، وما أن فرغا منها حتى دَعَوا حاشيتهما وركبا الخيل ثم تركاني في برود.

وهنا قابلت ذلك الرسول الدنيء وقد عرفت أنه نفس الشخص الذي أظهر لجلالتكم أخيرًا وقاحته وقلة حيائه، فثارت ثائرتي وأشهرت سيفي عليه، فإذا بالجبان يصرخ، وقد رأى صهرك وابنتك أنّ هذه تستحق الإهانة التي تراني عليها الآن.

بهلول :

كلّ أبٍ رداؤه الأسمال

أولاده يصيبهم عمَى العيون

وكل أب حامل أكياس مال

أولاده بلطفهم يتّسمون

الحظ في الدنيا بغيّ عاهرة

ما رحبت في بيتها المعوزين

ومع ذلك فبسبب بناتك سيكون لك من الهموم ما يجعلك تندم.

لير : آه، أين هذه الابنة؟

كنت : مع إيرل غلوستر يا مولاي هنا بالداخل.

لير : لا تتبعوني، انتظروا هنا.

(يذهب)

السيد : ألم تزد إساءتك عما ذكرته؟

كنت : أبدًا، ما السبب في أن الملك لا يصحبه سوى هذا العدد القليل من الرجال؟

بهلول : سنرسلك إلى النمل لتتعلم منه أنه لا عمل في الشتاء، ونصيحتي لك نصيحة بهلول!

مَن يؤدي خدمة لكْ

وهو يبغي نفعه

ليس إلا تابعًا لك

ظاهريًا كله

فإذا ما تهطل الأمطار

تلقاه تولّى

تاركًا إياك في عاصفة

الأنواء تبلى

غير اني أنا باق

معك فالبهلول يبقى

بينما عضى الحكيم

وإذا ما العبد ولى

فهو بهلول زنيم

بينما البهلول لا يصبح

كالعبد الأثيم

كنت : أين تعلمت هذا يا بهلول؟

بهلول : ليس في الدهق: يا بهلول.

(يعود لير ومعه غلوستر)

لير : يرفضان أن يكلماني، يا لها من أعذار تدلّ على التمرد والعصيان.

غلوستر : يا مولاي العزيز، أنت تعرف مزاج الدوق وعناده.

لير : ناريّ المزاج؟ أي مزاج؟ غلوستر، يا غلوستر، إني أريد أن أكلم دوق كورنوول وزوجته.

غلوستر : مولاي الكريم، لقد أخبرتهما.

لير : أخبرتهما ؟

غلوستر : نعم يا مولاي الكريم.

لير : الملك يريد أن يكلم كورنوول، ابنته، يأمرها، أقسم بحياتي ودمي! ناري! قل للدوق السريع التهيج إن... لا، ليس الآن، سأمسك نفسي. (يبصر كنت): ويل سلطاني وملكي، لماذا ينبغي له أن يجلس هنا ؟ فما ذلك إلا مكر وخداع منهما ليس إلا، أطلقوا سراح خادمي، اذهب وقل لهما إنني أريد أن أتكلم معهما، الآن، مُرْهما أن يأتيا، وإلا قرعتُ الطبول حتى تقضي على هدوئهما.

غلوستر : بودي أن تنصلح الأمور بينكم.

(يخرج)

لير : يا لفؤادي!

بهلول : اهتف له يا عمي، إن أخاها هو الذي أراد أن يعطف على حصانه فوضع له السمن في العلف.

(يعود غلوستر ومعه كورنوول وريغان وخدم)

لير : صباح الخير عليكما.

كورنوول : ولك التحية يا مولاي. (يطلق سراح كنت)

ريغان : يسعدني أن أراك يا مولاي.

لير : أظنك صادقة، آه.. أراهم قد أطلقوا سراحك، سنبحث موضوعك فيما بعد.

(يخرج كنت)

حبيبتي ريغان، إن أختك عاملتني كما تُعامل الفراخ بحقارة وجعلتني محطًا للإهانة من تابعيها، لن تصدقي مقدار الخسة والوضاعة، آه يا ريغان!

ريغان : سيدي تذرع بالصبر، إنها لم تُقصر في أداء واجبها إزاءك.

لير : وكيف كان ذلك؟

ريغان : لأنك يا سيدي لم تضع حداً لعربدة أتباعك وحاشيتك، فهي لم تفعل ذلك إلا لأسباب وجيهة.

لير : لعناتي عليها.

ريغان : أنت رجل مسنّ وحياتك تشرف على نهايتها، لذا أرجوك يا سيدي أن تعود إلى أختنا وتخبرها أنك أخطأت في حقها.

لير : تريدني أن ألتمس عفوها؟ "أيتها الابنة العزيزة، إني أقر بأني رجل عجوز.. ها أنذا راكعًا (يركع) أتوسل إليك أن تتفضلي عليّ بالملبس والفراش والطعام".

ريغان : كفى يا سيدي، كُفّ عن هذه الحيل الكريمة وعُدْ إلى أختي.

لير : أبداً يا ريغان، إنها قررت تخفيض حاشيتي إلى النصف، ولم تطق رؤيتي، ولطمتني بلسانها كالأفعى في قلبي، فلتنزل على رأسها ألوان الانتقام، لتُرزق في ذريتها التي لم

تولد بعد بالكساح.

كورنوول : يا للخزي!

ريغان : يا للآلهة المباركة، هكذا ستلعنني أنا أيضًا.

لير : لا يا ريغان، لن تصيبك لعناتي أبدًا، فطبيعتك الرقيقة لن تفعل كما فعلت هي.. ليس من طبيعتك أن تسلطي علي لسانك أو تبخلي عليّ بالزاد، أو توصدي بابك في وجهي، أنت لم تنكري أن ما تملكينه قد وهبتك إياه كما هي أنكرت.

ريغان : سيدي، ما الموضوع الذي طلبتنا من أجله؟

لير : من الذي وضع رسولي في الدهق؟

(يسمع صوت بوق)

كورنوول : بوق من هذا؟

ريغان : هذا بوق أختي، أنا أعرفه.

(يدخل أوزولد)

هل حضرت سيدتك؟

لير : هذا عبد لا يستحق الجلال، اغرب عن وجهي أيها الوضيع.

كورنوول : ماذا تعني يا صاحب الجلالة؟

لير : من الذي أمر بوضع رسولي في الدهق؟

(تدخل جونريل)

أيتها السموات، كوني عونًا لي.

(إلى جونريل): ألا تخجلين من النظر إليّ؟ وأنت يا من جئت إليك أتُسلمين عليها بيدك؟

جونريل : ولِمَ لا يا سيدي؟ أيّ ذنب اقترفته؟

لير : كيف حبس رسولي في الدهق؟

كورنوول : لقد أمرت أنا بحبسه.

لير : أنت؟ أنت الذي حبسته؟

ريغان : أرجوك يا أبي أن تعود مع أختي حتى ينتهي الشهر، ثم تعال إليّ، إنني الآن بعيدة عن بيتي، وليس لديّ من المئونة والزاد ما يكفي لضيافتك.

لير : أعود إليها وأتخلص من نصف حاشيتي؟ لا، الأفضل لي أن أهجر الدنيا وأصارع الهواء القارس وأصاحب الذئاب والبوم من أن أعود معها؟ الأهون عليّ أن أركع أمام ملك فرنسا الشهواني المتهور الذي تزوج ابنتنا الصغرى بلا صداق، وأتوسل إليه كما لو كنت أحد خدمه أن يمنّ عليّ بمأوى يكفل لي الحياة بدلا من الذل والهوان، فمن الأولى أن تجعلاني عبدًا ومكاريًا لسائسها هذا الوقح. (مشيرًا إلى أوزولد)

جونريل : كما يحلو لك.

لير : لا تجعليني أفقد صوابي.. وداعًا، أصلحي من نفسك

حينما تستطيعين في أي وقت تشائين، فأنا يمكنني أن أصبر وأقيم مع ريغان أنا وفرساني المائة.

ريغان : لا يا سيدي، فإني لست على استعداد لاستقبالك بما يليق بك، استمع إلي أختي يا مولاي؛ فإنها تعرف ماذا تفعل.

لير : أتظنين أنك أحسنت القول؟

ريغان : نعم، ألا ترى أن خمسين فارسًا يكفي؟ إنه لأمر صعب بل ومستحيلًا.

جونريل : وهل هناك ضير يا مولاي في أن يكون من يقوم بخدمتك هم عين الناس الذين يخدموننا؟

ريغان : لِمَ لا يا مولاي؟ فإذا تهاون أحد الخدم كان من السهل علينا أن نعاقبه، إذا كنت ستأتي إليّ فلن أعتني بأكثر من خمسة وعشرين.

لير : لقد أعطيتكما كل ما أملك!

ريغان : وحسنًا صنعت قبل فوات الأوان.

لير : وجعلتكما وصيّتين عليّ، واشترطت فقط أن يظل معي المائة فارس، ماذا تقولين؟ أهذا هو ما قلته يا ريغان؟

ريغان : وهذا ما أكرره يا سيدي.

لير : ياللمخلوقات الشريرة التي تبدو طيبة.

(إلى جونريل): سأذهب معك أنت، فالخمسون الذين

وافقت عليهم هم ضعف الخمسة والعشرين، وحُبّك لنا ضعف حبها.

جونريل : استمع إليّ يا مولاي، لماذا تحتاج إلى كل هذا العدد او إلى عشرة أو إلى خمسة طالما أنت في بيت فيه ضعف هذا العدد كلهم في خدمتك؟

ريغان : حقاً لماذا يحتاج المرء؟

لير : أيتها السماء، امنحي الصبر رجلاً شيخاً مسكيناً مفعماً بالحزن كما هو مفعم بالسنين، لا أيتها الغولاتان اللتان عدمتا كل إحساس، إني سأنتقم منكما، سأصنع أشياء لا أعرف كنهها الآن، ولكنها ستكون من أفظع ما رآه العالم واهوله، لن أبكي، إن لديّ أسباب تدفعني إلى البكاء (يسمع صوت عاصفة من بعيد)، ولكن هذا القلب سينفطر قبل أن أستسلم للدموع، يا بهلول، إنني سأفقد صوابي.

(يخرج لير ومعه غلوستر وأحد الحاشية وبهلول)

كورنوول : دعونا ندخل، فالجو ينذر بالعاصفة.

ريغان : إن هذا البيت صغير ولا يكفي لإيواء الرجل العجوز وحاشيته.

جونريل : إنها غلطته، فقد شاء أن يحرم نفسه الراحة.

ريغان : أنا على استعداد لاستقباله بسرور، أما عن أتباعه فلن أقبل واحداً منهم.

جونريل : وهذا هو عين رأيي، أين اللورد غلوستر؟

كورنوول : لقد تبع الرجل العجوز إلى الخارج، لا، أراه قد عاد.

(يعود غلوستر)

جلوستر : إن الملك في غضب.

كورنوول : أين ينوي الذهاب الآن؟

جلوستر : لقد أمر بتجهيز الجياد، ولكني لا أعرف إلى أين هو ذاهب.

كورنوول : اتركه، إنه عنيد.

جونريل : لا تطلب منه أن يبقى يا سيدي.

غلوستر : يا للأسف، إن الرياح العاتية تهب ولا تكاد توجد شجرة واحدة يحتمي بها المرء على مسافة أميال عديدة.

ريغان : الرجال العنيدون يا سيدي يعاقبون أنفسهم، أغلق أبواب قصرك، فقد يحرضونه على فعل أى شىء.

كورنوول : أغلق أبواب قصرك يا سيدي، إنها ليلة هائجة.

(يخرجون)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(فلاة)

(عاصفة مصحوبة برعد وبرق – يدخل كنت وسيد فيتقابلان)

كنت : يا له من جو عاصف؟

السيد : ويا لها من نفس عاصفة كالجو شديد الهيجان.

كنت : أنا أقول لك، أين الملك؟

السيد : إنه يُصارع عناصر الطبيعة الشريرة، يطلب من الريح أن تعصف بالأرض فلا تُبقي على ظهرها أحدًا فينتهي الكون، إنه هناك يشدَ شعرَ رأسه الأشيب وهو في عالم الإنسان الأصغر دبّة جائعة بعد أن أرضعت صغارها، في هذا المساء يجري الملك (في العاصفة) عاري الرأس مجازفًا بكل شيء.

كنت : ولكن من معه؟

السيد : لا أحد غير البهلول يخفف بنكاته ألم سيده العجوز.

كنت : سيدي إن معرفتي بك تجعلني أبوح لك بسر هام.

إن هناك شقاقاً بين أولباني وكورنوول، وكل منهما يسعى إلى إخفائه بمكره ودهائه، وكلاهما عيون لفرنسا يتجسسون لها على دولتنا، أو أن السبب هو ما بين الدوقين من شقاق، وقسوة معاملتهم للملك الشيخ الطيب، ولكن الذي لا شك فيه هو أن هناك جيشًا قادمًا من فرنسا لغزو هذه المملكة المقسمة، ولقد نزل سرًّا في أهم موانينا، فما دورك الآن؟ فمن رأيي تُسرع إلى دوفر لتُخبر بصدق عما يشكوه الملك من ألم يسوقه إلى الجنون، فإن فعلتَ ذلك وجدتَ من يشكرك، وخذها مني خدمة لي ولك.

السيد : حدثني عن المزيد من التفاصيل.

كنت : لا، لا داعي، ولكي تتأكد من أني صادق وذلك مما لا يدل عليه ظاهري فافتح كيسي وخذ ما به، وحين ترى كورديليا أرها هذا الخاتم، وعندها ستخبرك من أنا، وأنت لا تعرفني بعد، تبًّا لهذه العاصفة، أنا ذاهب للبحث عن الملك.

السيد : ألديك شيء آخر تود أن تقوله لي؟

كنت : أجل، من يعثر علي الملك أولًا ليناد على الآخر.

(يخرجان كلٌّ منهما من ناحية)

❖ ❖ ❖

(ناحية أخرى من الفلاة، العاصفة مستمرة، يدخل لير وبهلول)

لير : هبّي أيتها الرياح واعصفي، أيها الطوفان انهمر حتى تغرق أعالي الأبراج، وأنت يا طلائع الرعد القاصف ويا أيها الرعد العاصف، اضرب هذه الكرة الأرضية وسوها ببعضها سواء، وبعثر كل بذور ينمو منها الإنسان العاق.

بهلول : يا عمي، ادخل واطلب من بنتيك أن تباركاك، إن هذه الليلة لا ترحم عاقلًا ولا بهلولًا.

لير : اقصفي بكل ما فيك، فلست مدينة لي بالطاعة، فانهمري إذن بما يحلو لك.

ها أنذا أقف أمامك عبدًا لك، شيخًا ضعيفًا ومحتقرًا، ومع ذلك فإني أقول إنك أداة ذليلة؛ لأنك تعتدين على عجوز أشيب مثلي، يا للفظاعة.

بهلول : إن من له بيت له رأس وغطاء صالح.

من بنى للغير بيتًا قبل أن يبني لنفسه.

نزل القمل برأسه، هكذا الشحاذ مزواج.

من غدا إصبع قدمه عنده حيث الفؤاد

صاح من آلام ورمه

وغدا نومه في الليل سهاد.

فما من حسناء حتى الآن لا تكثر من تأمل وجهها

(يدخل كنت)

لير : لا، سأصبر، ولن أقول شيئًا.

كنت : من هناك؟

بهلول : هنا رجل عاقل ورجل أبله.

كنت : أأنت هنا يا مولاي؟ إن السموات الغاضبة تبعث الرعب في نفوس الكائنات التي تسري في الليل، وتدفعها إلى الانزواء والاختباء بجحورها.

لير : دع الآلهة العظيمة التي تكشف لنا من هم أعداؤنا، ارتعد أيها الشقي الذي يضمر في نفسه جرائم لنا، أيتها الجرائم الخفية اصرخي واطلبي العفو من هذه العناصر الرهيبة التي تُحاكمك، أما أنا فرجل مظلوم أكثر منه ظالمًا.

كنت : أسفي عليك يا مولاي الكريم، بالقرب منا كوخ استرح فيه ريثما أذهب أنا إلى ذلك البيت القاسي الذي أغلق أصحابه الباب في وجهي منذ قليل حينما ذهبت لأسأل عنك فيه، ولكني سأعود أرجوهم أن يتنعموا علينا بزهيد ضيافتهم.

لير : تعال يا غلام، كيف حالك؟ أبردان؟ أنا أيضًا مثلك، هيا بنا إلى كوخك يا بهلول المسكين.

بهلول : من كان عنده ولو خردلة من الرشاد

في الريح والمطر عليه أن يرضى بقسمة العباد

حتى وان كان المطر

في كل يوم ينهمر

لير : صحيح، هيا إلى الكوخ.

(يخرج لير وكنت ويهلول)

المشهد الثالث

(غرفة في قلعة غلوستر)

(يدخل غلوستر وإدموند يحملان المشاعل)

غلوستر : يا للأسف يا إدموند، إني لفي أشد الإساءة من تلك المعاملة القاسية، وحينما أردت أن أعطف عليه منعوني وأمروني ألّا أتكلم معه أو أتشفع له، وإلاّ كان جزائي سخطهم الدائم.

إدموند : يا للوحشية والشذوذ!

غلوستر : صه! لا تقل شيئًا، لقد تسلمت خطابًا هذا المساء من الخطر التحدث عنه، إن هذه الإهانات التي تعرض لها الملك ستُرد إلى فاعلها، لقد نزل فعلًا جزء من جيش فرنسا في البلاد، ولا بد لنا أن نُعين الملك، سأبحث عنه في الخفاء، اذهب أنت واشغل الدوق بالحديث كي لا يلحظ ما نفعل، وإذا سأل عني فقل له إني متوعك. وخذ حذرك. أرجوك.

(يخرج)

إدموند : سأُخبر الدوق بكل ذلك، وعندها سيُكافئني بما يفقده أبي، فمتى سقط الكبار سَما الصغار.

(يخرج)

المشهد الرابع

(الفلاة – أمام كوخ)

(يدخل لير وكنت وبهلول)

كنت : ها هو المكان يا مولاي، تفضل فادخل. (العاصفة مستمرة)

لير : اتركني فقط وحدي.

كنت : يا مولاي الكريم، ادخل الكوخ.

لير : إن تلك العاصفة، لا شيء بجوار هذه العاصفة التي نحن بين فكيها، +والتي مني كل حواسي (هنا سقط)، وخاصة عقوق الأبناء.

ولكني سأنزل بهما شديد العقاب، يوصدون الباب في وجهي في ليلة كهذه؟ في ليلة كهذه يا جونريل ويا ريغان؟ أواه، إن هذا الخاطر يؤدي بي إلى الجنون، يجب أن أكفّ عن التفكير.

كنت : مولاي، ادخل.

لير : سأدخل.

(إلى بهلول): ولكن ادخل انت أولًا يا بني، سأصلي أولًا ثم أنام.

(يدخل بهلول)

أيها المساكين العرايا كيف يمكن لثيابكم الممزقة أن تحميكم من مثل هذه الأنواء، آه.. إنني لم أفكر في هذا الأمر من قبل، أيها البذخ تناول هذا الدواء، لعلك تنعطف عليهم بما يفيض عن حاجتك، وكن عادلًا.

إدغار (من الداخل): يا لها من أنهار تجري على الأرض يا توما المسكين!

(يخرج بهلول من الكوخ راكضًا)

بهلول : لا تدخل يا عمّي! هنا عفريت، النجدة، النجدة!

كنت : أعطني يدك، من هناك؟

بهلول : عفريت، عفريت يقول إن اسمه توما المسكين.

كنت : من أنت؟ يا من أنت بين القشّ اخرج في الحال.

(يدخل إدغار متخفيًا كمجنون)

إدغار : ابتعدوا عني، إبليس النجس يلاحقني، اذهبوا إلى فراشكم للتدفئة.

لير : أأعطيت بناتك كل ما تملك؟

إدغار : من ذا الذي يعطي شيئًا لتوما المسكين الذي لاحقه إبليس اللعين ويطارد خياله ظنًّا منه أنه خائن، توما

بردان! دي! دي! وقاق الله من الزوابع وشر النجوم.

(العاصفة مستمرة)

لير : ماذا به؟ هل دفعته بناته إلى الجنون؟ ألم تفلح في أن تبقي على شيء لنفسك؟

بهلول : لا، لقد احتفظ بما يواريه ويحميه فهو أفضل منا.

لير : لتنزل على بناتك جميع الأوبئة، كما تنزل الأقدار على البشر بالذنوب.

كنت : ليس له بنات يا مولاي.

لير : لا شيء يفلح في إذلال طبيعة رجل إلى هذا الجحيم غير بناته القاسيات، تلك البنات الغادرات بآبائهن كالبجع.

إدغار : بُجَيْعَة حطّت على تل الذّكر، هيا هيا.

بهلول : يا لنا من بلهاء ومجانين.

إدغار : حذار من إبليس اللعين، أطع والديك، وكن عادلًا بالفعل والقول، توما بردان.

لير : ماذا كانت مهنتك؟

إدغار : خادم، (يزوم مقلداً صوت الرياح) هيه نوني نوني، درفيل يا ولد إبليس، هيا، دعه يمر. (العاصفة مستمرة)

لير : ها نحن الثلاثة هنا مغشوشون، أما أنت فإنك الشيء الحقيقي، الإنسان بدون زخرف، إليك عني أيتها الأشياء المستعارة، تعالَ فكَ هذه الأزرار. (يمزق ثيابه عن نفسه)

بهلول : اتوسل إليك يا عمي أن تكفّ، إني أرى نارًا تسعى على قدمين.

(يدخل غلوستر)

غلوستر : هذا هو الشيطان النجس فِليبْرْ إيتان يمشي عند أول جرس للمساء ويظل يسير حتى الصباح. ويلحق العفن بالقمح قبل أن يتم نضجه.

قد سار في الغاب ما سار بعدها

فأبصر كابوسًا كسعلاة ومعها

تسعة أولاد (عفاريت) فقال لها:

ترجلي يا ساحرة.

كنت : كيف حالك يا مولاي؟

لير : من هذا؟

كنت : ماذا تريد؟

غلوستر : من أنتم؟ ما أسماؤكم؟

إدغار : توما المسكين الذي يأكل سحلية البر والبحر، وحينما يهيج إبليس اللعين يدفعه إلى أن يأكل روث البقر بدلًا من الحلوى، ويشرب حثالة ماء البرك.

فحذار من شيطاني الذي يلاحقني

غلوستر : مولاي، أليس في صحبتك خير من هذا؟

إدغار : توما المسكين بردان.

غلوستر : تفضل ادخل معي، إن واجبي إزاءك لا يقوى على طاعة جميع اوامر بنتيك الصارمة، لقد أمرت بأن أوصد باب قصري في وجهك، ومع ذلك فقد جازفت بالمجيء إلى هنا للبحث عنك لأقودك إلى حيث هيأت لك الدفء والطعام.

لير : دعني أولاً أتحدث إلى هذا الفيلسوف العالم، ما الذي يسبب الرعد؟

كنت : مولاي الكريم، اقبل دعوته.

لير : ماذا تدرس؟

إدغار : كيف أتقي إبليس وأقتل القمل.

لير : دعني أسألك سؤالًا واحدًا في السر.

كنت : التمس منه أيضًا يا سيدي أن يأتى معك.

غلوستر : إن ابنتيه تريدان موته، آه.. ما أصدق الرجل الطيب كنت، لقد تنبأ المسكين المنفي بكل هذا.

لير : عفوًا يا سيدي، أيها الفيلسوف النبيل، أريد صحبتك.

إدغار : توما بردان.

غلوستر : ادخل يا رجل للتدفئة.

لير : هيا لندخل جميعًا.

كنت : مِن هنا يا مولاي.

لير : أريد أن أدخل مع فيلسوفي.

كنت : دَعْه يصطحب الرجل.

غلوستر : خذه أنت.

كنت : تعال يا هذا.

لير : تعالَ أيها الصالح.

غلوستر : صه، لا يتكلم أحد.

إدغار : رولاند طفلاً جاء برجا معتم

يقول في – فو – فم

إني أشم دم

دم بريطاني – دم.

المشهد الخامس

(غرفة في قلعة غلوستر)

(يدخل كورنوول وإدموند)

كورنوول : سأنتقم منه قبل أن أغادر بيته.

إدموند : سيدي، ماذا يقول الناس عني حين يرون أنني أصبحت ضد أبي، إنه لأمر يفزعني، وهذا هو الخطاب الذي تحدث عنه أخي والذي يثبت أنه يتجسس لصالح فرنسا.

كورنوول : تعال معي إلى الدوقة.

إدموند : إذا صح ما في هذه الورقة كانت أمامك مهام خطيرة عاجلة.

كورنوول : هيا فتش عن أبيك حتى نتمكن من اعتقاله.

إدموند (لنفسه): إن وجدته (بصوت مرتفع) سأواصل السير في سبيل ولائي، وإن كان بداخلي صراعا أليمًا.

كورنوول : سأضع ثقتي فيك.

(يخرجان)

المشهد السادس

(حجرة في مزرعة بجوار القلعة)

(يدخل غلوستر وكنت)

غلوستر : سأحاول أن أوفر بعض وسائل الراحة بقدر المستطاع، لن أغيب عنكم.

كنت : جزاك الله على كرمك.

(يخرج غلوستر)

(يدخل لير وإدغار وبهلول)

إدغار : لولا تير جني يدعوني، فصَلّ أيّها الرب واحذر إبليس اللعين.

بهلول : قل لي يا عمي، هل المجنون سيّد أم فلاح؟

لير : إنه ملك، ملك.

بهلول : لا، هو فلاح ابنه سيد.

لير : لينتقم منهما الرب بنيران حارقة.

إدغار : إبليس يعضني.

بهلول : مجنون من يثق في لطف فتى أو في حب عاهرة.

لير : هذا ما يجب صنعه، سأحاكمهما.

(إلى إدغار): تعال واجلس هنا أيها القاضي العلّامة.

(إلى بهلول): وأنت يا سيدي الحكيم، اجلس هناك، وأنتما الثعلبتان.

إدغار : انظري، أتريدين أن يحضر المتفرجون محاكمتك يا سيدتي؟

بهلول (يغني): تعالي يا حبيبتي، تعالي إليَّ

عَبْرَ الغدير

لكن زورقها فيه ثقوب

وليس مسموحًا لها بأن تجيب

كيف إذن تأتي إليك أيها الغرير؟

إدغار : إبليس اللعين يزمجر في بطن توما، لكن أيها الملاكَ الأسود، ليس عندي طعام لك.

كنت : تفضل فاجلس واسترح على هذه الوسائد يا مولاي.

لير : انتهِ من محاكمتها، هاتوا الشهود.

(إلى إدغار): خذ مكانك أيها القاضي.

(إلى بهلول): وأنت زميله، اجلس بجانبه.

(إلى كنت): وأنت ثالثهما في هيئة القضاة.

إدغار : لنحكم بالعدل والقسطاس.

أنائم أم يقظ يا أيها الراعي الطروب

بينما تجول في حقول القمح أغنامك

ونفخة واحدة من فمك الحبيب

تعيدها سالمة إلى جوارك

قرقر القط أسمر.

لير : حاكموا جونريل أولاً، أقسم أمام هذا المجلس الشريف أنها ركلت أباها المسكين.

بهلول : اقتربي يا سيدة، ما اسمك؟

لير : لن تستطيع أن تنكر.

بهلول : عفواً لقد ظننت أنك كرسي.

لير : وهذه الأخرى، أمسكوها، هاتوا السلاح، إن الفساد يرعى هنا، لماذا تركتها تهرب أيها القاضي الكاذب؟

إدغار : بارك الله في ملكاتك الخمس.

كنت : وأسفاه يا مولاي! أين ولّى ذلك الصبر الذي كثيراً ما زعمت أنك محتفظ به.

إدغار (لنفسه): إن دموعي تكاد تفسد تنكري عطفاً عليه.

لير : الكلاب كلها حتى صغارها تنبح عليّ.

إدغار : توما سيقذفها برأسه: هيا، امشي، إليك عنا أيتها الكلاب اللئيمة

سوداء الفم كانت أم بيضاء

ومهما كانت أنيابها سامة في عضتها

الدروس منها والسلوقي المولّد المخيف

كلب الصيد أو كلب البيت

من كل ضرب ولون

أبتر الذنب كان أم ساحبًا ذيله الطويل

توما يجعلها تعوي وتصرخ

فبمجرد أن ألقي برأسي إلى الأمام هكذا

تفر الكلاب في الحال وتهرب جميعًا

دو دي دي دي هيا، اذهبي، توما المسكين، لقد نضب معينك.

لير : هل في الطبيعة ما هو سبب علّة هذه القلوب الجامدة؟

(إلى إدغار): أنت يا سيدي سأستخدمك كواحد من المائة الذين تتألف منهم حاشيتي، ولكني لا أحب طراز ثيابك، أريدك أن تغيرها.

كنت : والآن يا مولاي ارقد واسترح.

لير : لا تحدثوا أي جلبة، وفي الصباح نذهب للعشاء.

بهلول : وأنا سأذهب للرقاد في الظهيرة.

(يعود غلوستر)

غلوستر : تعال هنا يا صديقي، أين مولاك الملك؟

كنت : هنا، أرجوك ألا تزعجه، لقد فقد عقله.

غلوستر : أيها الصديق الكريم، لقد سمعت أنهم يتآمرون على حياته.. لدينا مركبة جاهزة فانقله فيها وخذه إلى دوفر حيث تجد الترحيب والحماية، ارفع مولاك حالًا؛ فإنك إن انتظرت لحظة ضاعت حياته وحياة من هم حوله، هيا ارفعه، ارفعه واتبعني حيث أدلّك على بعض المئونة.

كنت : هذه الغفوة ربما كانت بلسمًا لأعصابك المحطمة.

(إلى بهلول): تعال وعاونّي على حمل مولاك.

جلوستر : هيا، هيا بنا.

(يخرج كنت وجلوستر وبهلول يحملون الملك)

إدغار:

حينما نرى أسيادنا

يقاسون ما نقاسي

لا نشعر بمصائبنا

ومن تألم وحده كأن ألمه أشد على النفس

حين يولّي ظهره لمظاهر السعادة

لكن النفس تتخطى العذاب

حين يكون للحزن أتراب

لكم يبدو ألمي لي خفيفًا

حين أرى أن الذي أحنى ظهري

قد جعل الملك يطأطئ

لقد قسا عليه أطفاله

بينما أنا قسا عليّ والدي.

لتهرب يا توما...

وكن مُعينًا لأبيك المحزون، وعندما يتم ذلك أكشف

عن حقيقتك، ومهما يحدث هذه الليلة لينجُ الملك.

اختبئ، اختبئ.

(يخرج)

المشهد السابع

(غرفة في قلعة غلوستر)

(يدخل كورنوول وريغان وجونريل وإدموند وخدم)

كورنوول (إلى جونريل): اذهبي بسرعة إلى زوجك وأريه هذا الخطاب: لقد نزل الجيش الفرنسي في البلاد، هيا فتشوا عن الخائن غلوستر.

(يخرج بعض الخدم)

ريغان : واشنقوه.

جونريل : بل اقلعوا عينيه.

كورنوول : وداعًا أيتها الأخت العزيزة! وداعًا يا لورد غلوستر.

(يدخل أوزولد)

ماذا وراءك؟ أين الملك؟

أوزولد : لقد نقله سيدي اللورد غلوستر من هنا وأرسل وراءه خمسة أو ستة وثلاثين فارسًا من فرسانه وذهبوا به وبصحبتهم آخرون من أتباع اللورد إلى دوفر.

كورنوول : هيئ الخيل لسيدتك.

جونريل : وداعًا يا سيدي الكريم ويا أختاه.

كورنوول : وداعًا يا إدموند.

(يخرج جونريل وإدموند وأوزولد)

اذهبوا وفتشوا عن الخائن غلوستر.

(يخرج خدم آخرون)

لا بُد لنا من محاكمة رسمية كي نستطيع إعدامه، من هناك؟ الخائن؟

(يعود الخدم ومعهم غلوستر سجينًا)

ريغان : هذا هو الثعلب العاق.

كورنوول : أوثقوه جيداً.

غلوستر : ماذا تقصدان؟ أيها الصديقان، لا تنسوا أنكما ضيفان عليّ، فلا تخونانى، فالويل لكما.

كورنوول : قيدوه. (يقيده الخدم)

ريغان : أيها الخائن القذر.

غلوستر : لست ذلك أيتها السيدة القاسية.

كورنوول : يا وغد، لسوف تجد. (تنتف ريغان لحيته)

غلوستر : إنه لمن المزري أن تنتفي لحيتي.

ريغان : لحية شائبة بيضاء ومع ذلك خائن.

غلوستر : أيتها السيدة الشريرة لا يحق لك أن تعتدي على وجهي، ماذا تنوون أن تصنعوا بي؟

كورنوول : لندخل في الموضوع يا سيد، أين هي تلك الخطابات التي تسلمتها أخيرًا من فرنسا؟

ريغان : أجب بصراحة.

كورنوول : وفيم التعاون مع أولئك الخونة الفرنسيين؟

ريغان : والذين سلمت إلي أيديهم الملك المجنون، تكلم.

غلوستر : في حوزتي خطاب كتِب بدون معرفة أكيدة، جاء من فرد محايد لا من عدو.

كورنوول : ماكر.

ريغان : وكاذب.

كورنوول : أين أرسلت الملك؟

غلوستر : إلى دوفر.

ريغان : ولِمَ؟

غلوستر : لأنني لا أريد أن أرى أظافرك القاسية تقتلع عينيه المسكينتين، لا، ولا أختك الشرسة تنشب أنيابها التي هي كأنياب الخنزير المتوحش في جسده المقدس.

كورنوول : لن تبصرن شيئًا بعد الآن، ولسوف أطأ بقدمي عينيك هاتين.

غلوستر : النجدة، ما أقساكم يا ناس! أيتها الآلهة!

ريغان : أفقعي الأخرى أيضًا.

كورنوول : إن أبصرت العقاب...

الخادم : أمسك يدك يا سيدي، لقد خدمتك منذ أن كنتُ طفلاً.

ريغان : ماذا تقول أيها الكلب؟

خادم : لو كانت لك لحية في ذقنك لشددتها في هذا النزاع.

ريغان : ماذا تقصد؟

كورنوول : أنت مجرد عبد ملكي. (يستلان سيفيهما ويتقاتلان)

خادم : حسن، إذن عليك بالقتال.

ريغان : أعطني سيفك، فلاح يجرؤ على التحدي!

(تأخذ سيفاً وتهجم عليه من الخلف)

خادم : آه.. لقد قتلت، سيدي، لا زالت لديك عين ترى بها. آه. (يموت)

كورنوول : سأمنعها كي لا ترى شيئًا آخر.

غلوستر : ظلام تام بلا سلوى، أين ابني إدموند؟ يا إدموند، انتقم لأبيك على تلك الفعلة الشنيعة.

ريغان : كفّ أيها الوغد الخائن، إنك تنادي على من يكرهك، فهو الذي فضح أمرك لنا.

غلوستر : يا لغباوتي!

ريغان : ألق به خارج الأبواب ودعه يتحسس طريقه إلى دوفر.

(يخرج خادم مع غلوستر)

ماذا حدث يا سيدي، كيف حالك؟

كورنوول : رافقيني يا سيدتي، أعطني ذراعك.

(يخرج كورنوول تقوده ريغان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

(الفلاة)

(يدخل إدغار)

إدغار : مرحبًا بك أيها الهواء الأثيري الذي يحويني، فمن هو غير بائس لا يخشى عواصفك، لكن من هناك؟

(يدخل غلوستر يقوده رجل عجوز)

أبي يقوده رجل كالمشردين، إيه يا دنيا، يا دنيا، يا دنيا!

الرجل : سيدي الكريم، لقد كنتُ في طاعتك هذه الأعوام الثماني.

غلوستر : اتركني فإن مواساتك لا تفيدني في شيء وقد تضر بك.

الرجل : ولكنك لا ترى طريقك.

غلوستر : لست بحاجة إلى عينين، فحينما كنت مبصرًا تعثرت، آه يا إدغار، يا ولدي العزيز، يا من خدعت أباك.

الرجل : ماذا؟ مَن هناك؟

إدغار (لنفسه): أيتها الآلهة، إن حالي الآن أسوأ من أي وقت مضى.

الرجل : إنه المسكين توما المجنون.

إدغار (لنفسه): وقد أصبح أسوأ من هذا.

الرجل : أين أنت ذاهب يا غلام؟

غلوستر : أهو شحاذ؟

الرجل : مجنون وشحاذ معًا.

غلوستر : لا بد أن تبقى له ذرة من العقل كي يقدر على أن يشحذ، لقد رأيت رجلًا مثله ليلة أمس – رجلًا جعلني أشعر أنه في صورة ولدي.

إدغار (لنفسه): كيف تم ذلك؟ (بصوت مرتفع): باركك الله يا سيدي!

غلوستر : أهذا هو الغلام العاري؟

الرجل : نعم يا سيدي.

غلوستر : أرجوك أنت أن تذهب، والحق بنا إن استطعت على طريق دوفر باسم ولائك القديم، وأحضر معك شيئًا يغطي الروح العارية.

الرجل : وا أسفاه يا سيدي إنه مجنون.

غلوستر : هذا هو حال الزمان حين يقوده أعمى مجنون، فافعل ما

يحلو لك واذهب.

الرجل : سأذهب ثم أتبعك بالثياب، وليكن ما يكن.

(يخرج)

غلوستر : أيها الغلام العاري.

إدغار : توما المسكين بردان. (لنفسه): لا أستطيع أن أُتم ذلك التمثيل!

غلوستر : تعال هنا يا غلام.

إدغار (لنفسه): ومع ذلك فأنا مضطر إليه، رحمة الله على عينيك.

غلوستر : أتعرف الطريق إلى دوفر؟

إدغار : كل شبر فيه، وقاك الله من إبليس اللعين.

غلوستر : ها هو ذا كيس نقودي، أيتها السموات، استمرّي في هذه المعاملة، اجعلي المدللين يحسون بجبروتك في الحال، ويصبح لدى كل إنسان ما يكفيه، أتعرف دوفر؟

إدغار : نعم يا سيدي.

غلوستر : هناك صخرة تنظر برعب إلى أسفل في البحر العميق، خذني إلى آخر حافتها وأنا أعوضك بشيء نفيس معي، وبعدها لن أحتاج إلى مرشد.

إدغار : أعطني ذراعك، توما المسكين سيكونَ مرشدك.

المشهد الثاني

(أمام قصر دوق أولباني)

(تدخل جونريل وإدموند)

جونريل : مرحبًا يا سيدي، من العجب أن زوجنا لم يخرج للقائنا.

(يدخل أوزولد)

إيه، أين سيدك؟

أوزولد : بالداخل يا سيدتي، لم يتغير أحد مثلما تغير هو.

جونريل (إلى إدموند): إذن لا تتقدم خطوة واحدة صوب البيت، إن في روحه الفزع والجبن مما يجعل فيها الكثير من المخاطرة، عُدْ يا إدموند إلى زوج أختي واجعله يسرع في إعداد الجيش، أما أنا هنا فعلي أن أكون مع زوجي، هذا الخادم الأمين سيكون رسولنا وعن قريب قد تسمع مني أوامر امرأة هي سيدتك ومعشوقتك معًا، خذ هذا وارتديه (تعطيه وسامًا)، لا داعي للكلام، اخفض رأسك، هذه القبلة لو أمكنها أن تنطق لرفعت روحك حتى تنتصب في السماء، أتفهم ما أعني؟ وداعًا.

إدموند : أنا عبدك حتى الموت.

جونريل : يا حبيبي غلوستر.

(يخرج إدموند)

آه.. ما أعظم الفارق بين الرجل والرجل، فما استولى على جسدي إلا رجل أبله.

أوزولد : سيدتي، سيدي قادم.

(يخرج)

(يدخل أولباني)

جونريل : كانت لي عندك قيمة ذات يوم.

أولباني : جونريل، لا، لم تساوي ولو ذرة تراب واحدة، إن مزاجك ليثير اشمئزازي، فما لك من أمان على أي شيء، والمرأة التي تنزع نفسها عن الساق التي تغذيها لا بد أن تذوي وتموت، ثم يكون مصيرها الهلاك وقودًا.

جونريل : كفى كفى، فأنت سخيف.

أولباني : إن القذارة لا تتذوق غير القذارة، ماذا جنته أيديكما أيتها النمرتين؟ فأنتما لستما بابنتين، أب قد دفعتماه إلى الجنون بسلوك همجي سافل.

جونريل : أيها الجبان، لماذا أنت لم تدق طبول الحرب؟ وملك فرنسا ينشر جنده في بلادنا وأخذ يهدد دولتك، بينما أنت لا تحرك ساكنًا وتصرخ: وأسفاه لم أفعل ذلك؟

أولباني : انظري إلى نفسك أيتها الشيطانة.

جونريل : يا مغرور.

أولباني : أنتِ مخلوقة اتخذت مظهرًا غريبًا عليها، ولكن مهما كنت من شيطانة لا زال لك شكل المرأة الذي يحميك.

جونريل : وأين كانت رجولتك تلك؟ الله الله!

(يدخل رسول)

أولباني : ما أخبارك؟

رسول : سيدي الكريم، لقد مات دوق كورنوول على يد خادمه حينما كان يحاول أن يفقأ عين غلوستر الثانية.

أولباني : عين غلوستر؟

رسول : نعم، لأنه اعترض على ما فعله سيده وشهر سيفه في وجهه فهجم عليه حتى صرعه، ثم أُصيب الدوق بطعنة أطاحت به.

أولباني : يا للآلهة العادلة، ولكن مسكين غلوستر أَفَقَدَ عينه؟

رسول : كلتيهما، وهذا خطاب يا سيدتي يحتاج إلى رد عاجل، إنه من أختك. (يقدم لها خطابًا)

جونريل (لنفسها): هذا الخبر يسرني على الرغم من أنها الآن قد أصبحت أرملة ولها صبي من غلوستر. (بصوت مرتفع) سأقرؤه وأجيب عنه.

(تخرج)

أولباني : أين كان ابنه حين فقأوا عينيه؟

رسول : كان مع سيدتي في طريقه إلى هنا.

أولباني : إنه ليس هنا.

رسول : لقد قابلته عائداً.

أولباني : أَعَرَفَ بالحدث الشنيع؟

رسول : نعم يا سيدي الكريم، إنه هو الذي وشى به.

أولباني : يا لك من مُخلص يا غلوستر للملك، وليتني أعيش حتى أنتقم لعينيك، تعال هنا أيها الصديق، أخبرني بالمزيد.

المشهد الثالث

(المعسكر الفرنسي بالقرب من دوفر)

(يدخل كنت وسيد)

كنت : ألا تعرف لماذا عاد ملك فرنسا فجأة إلى بلده؟

سيد : لا بد وأنه أمر هام.

كنت : ومن خلّف وراءه ليقود الجيش؟

سيد : مشير فرنسا مسيو لافار.

كنت : هل قرأت ابنتي التي ظلمناها خطاباتي فظهر عليها أي من أمارات الحزن؟

سيد : نعم يا سيدي، فقد كان الدمع ينحدر على وجنتها الناعمة، لقد بدت ملكة متملكة.

كنت : إذن أثارتها الخطابات؟

سيد : نعم، ولكنها لم تكن في ثورة غضب، لقد كان صبرها يعلو على حزنها وإن كانت أبهى منظرًا.

كنت : ألم تتفوه بكلام؟

سيد : في الواقع إنها حاولت أن تنطق كلمة "أبي"، ثم صاحت:

أختي، ماذا؟ في العاصفة! أثناء الليل! أين الرحمة؟ حينئذٍ بكت بُكاء لا يوصف من عينيها السماويتين، وبعد أن هدأت راحت تعالج الحزن وحده.

كنت : ألم تتكلم معها بعد ذلك؟

سيد : لا.

كنت : هل كان ذلك قبل عودة الملك؟

سيد : لا، بعدها.

كنت : حسن يا سيدي، إن لير المسكين الحزين في البلد، ولكنه لا يوافق مطلقًا على أن يرى ابنته.

سيد : ولماذا يا سيدي الكريم؟

كنت : يمنعه الخجل وقسوته عليها، هذه الخواطر السامة تلسع نفسه.

سيد : واأسفاه!

كنت : ألم تسمع شيئًا عن قوات أولباني وكورنوول؟

سيد : سمعت أنها في طريقها إلى هنا.

كنت: حسن يا سيدي، هيا إلى مولانا لير لأني لا بد أن أختفي لأمر هام بعض الوقت.

(يخرجان)

المشهد الرابع

(نفس المكان)

(تدخل كورديليا وطبيب وجند بالطبل والرايات)

كورديليا : واحسرتاه! إنه هو، لقد رآه بعض العامة مجنونًا مثل البحر المضطرب، وعلى رأسه إكليل من أعشاب لا نفع فيها، أرسِلوا من يُفتش في كل فدان عنه كي نراه. (يخرج ضابط) أهناك دواء لتلك الحالة؟ إن من يشفيه له كل ما أملك.

طبيب : إن الراحة هي حاضنة الطبيعة، وهناك عدة عقاقير وظيفتها أن تشجعه على الراحة.

كورديليا : أيتها العقاقير المفيدة على ظهر الأرض، ساعديني في شفاء أبي الرجل الكريم، فتش لأجله، وإلا قضى جنونه على حياته.

(يدخل رسول)

رسول : لدي أخبار يا مولاتي، القوات البريطانية تزحف علينا.

كورديليا : لقد علمنا بتلك الأخبار، ولقد أخذنا عدتنا لانتظارهم،

آه يا أبي العزيز، لقد أشفق ملك فرنسا العظيم على حزني بهدف المحبة، المحبة الخالصة لا الطمع في شيء آخر.

(يخرجون)

المشهد الخامس

(غرفة في قلعة غلوستر)

(تدخل ريغان وأوزولد)

ريغان : هل بدأت قوات فرنسا زحفها؟

أوزولد : نعم يا مولاتي.

ريغان : وهل هو على رأسها؟

أوزولد : نعم يا مولاتي، إن أختك لا زوجها هي القائد الباسل.

ريغان : ألم يتحدث لورد إدموند إلى سيدك عندكم؟

أوزولد : لا يا مولاتي.

ريغان : وماذا في خطاب أختي له؟

أوزولد : لا علم لي بذلك يا سيدتي.

ريغان : لا بد أنها أرسلته في مهمة خطيرة، فقد كان من الواجب أن يموت غلوستر، فهو أينما حلّ يثير علينا المشاكل، أظن أن إدموند ذهب للقضاء عليه.

أوزولد : لا بد لي أن ألحق به يا مولاي لأسلمه هذا الخطاب.

ريغان : سيزحف جيشنا غداً فانتظر معنا؛ لأن الخطر في كل مكان.

أوزولد : لا يجوز، إن سيدتي أمرتني أن أنفذ تعليماتها بحذافيرها.

ريغان : ولِمَ أرادت أن تكتب إلى إدموند؟ لعل هناك ما لا أعرفه، دعني أفض خاتم الخطاب وسأكافئك بسخاء.

أوزولد : مولاتي، خير لي أن...

ريغان : أنا أعرف أن سيدتك لا تحب زوجها، وقد أبدت للنبيل إدموند في زيارتها الأخيرة نظرات غرام واضحة الدلالة.

ولذا فقد تم التفاهم بيني وبين إدموند، وزواجه مني أنسب من زواجه منها، إذا وجدته أرجوك أن تعطيه هذا، وعندما تبلغ سيدتك ما قلته لك فقل لها أن تتعقل ولا تفقد صوابها، وداعاً.

أوزولد : وداعاً.

(يخرجان)

المشهد السادس

(الريف بالقرب من دوفر)

(يدخل غلوستر وإدغار مرتديًا زيّ الفلاحين)

غلوستر : ومتى سأصل إلى قمة ذلك الجبل؟

إدغار : إنك تتسلقه الآن.

غلوستر : يخيل لي أن الأرض مستوية هنا.

إدغار : إن انحدارها فظيع.

غلوستر : حقًا؟ لا.

إدغار : لقد أثّر ألم عينيك على حواسك الأخرى.

غلوستر : هذا جائز حقًا، يبدو لي أن لهجتك في الكلام أحسن من ذي قبل.

إدغار : كفى يا سيدي، ها هو المكان، قف، إنه لعلو شاهق يصيب المرء بالرعب والدوار.. لن أنظر أطول من ذلك مخافة أن يدور رأسي فأسقط من فوق تلك إلى الهاوية.

غلوستر : خذني إلى حيث تقف.

إدغار : أعطني يدك، أنت الآن على بعد قدم من حافة الهاوية.

غلوستر : اترك يدي، هذا كيس نقود آخر لك يا صديقي وفيه جوهرة، ابتعد عني الآن، ودعني أسمعك تبتعد عني.

إدغار : وداعًا يا سيدي الكريم.

غلوستر : وداعًا من صميم قلبي.

إدغار (لنفسه): يا له من مسكين.

غلوستر (راكعًا): اشهدي أيتها الآلهة القادرة، ها أنذا أهجر هذه الدنيا، يا غلام وداعًا.

إدغار : لقد ذهبت يا سيدي، وداعًا. (يقذف غلوستر بنفسه إلى الأمام فيقع على الأرض)، أحيٌّ أنت أم ميت؟ تكلم، ربما مات حقًا هكذا، لا، إنه يفيق، من أنت يا سيدي؟

غلوستر : اغرب عن وجهي ودعني أموت، ولكن قل لي هل أنا سقطت أم لا؟

إدغار : سقطت من القمة المرعبة لتلك الصخور البيضاء، انظر إلى أعلى.

غلوستر : وا أسفاه!

إدغار : أعطني ذراعك، كيف أنت؟

غلوستر : أحسن مما ينبغي.

إدغار : وهذا أعجب من العجب، من هو ذلك الهواء الذي افترق عنك فوق الجبل؟

غلوستر : شحاذ مسكين سيء الحظ.

إدغار : لقد قيل أن عينيه بدران، وأن له ألف أنف، وهو شيطان، لذلك أيها الشيخ السعيد الحظ ثق أنه ما حفظك سوى الآلهة.

غلوستر : من الآن فصاعداً سأصبر على البلوى فقد ظننته آدمياً، وقد يصيح مراراً: إبليس إبليس، وهو الذي قادني إلى هنا.

إدغار : لتكن صبوراً، ولكن مَنِ القادم هنا؟

(يدخل لير مرتدياً ثياباً عجيبة متزيناً بالأزهار البرية)

ما من إنسان سليم العقل يرتدي مثل هذه الثياب.

إدغار : يا له من منظر ينفطر له القلب.

لير : هاكم أجوركم أيها الجنود، هذا الغلام يمسك قوسه، شدّ لي قوسك، انظر، انظر، فأر، لا، صوته هذا قفازي، هاتوا البُلَط السمراء، السهم أصاب الهدف. (يقلّد صوت السهم المنطلق) قل كلمة السر.

إدغار : منْ يداوي عقله.

لير : مُرّ.

غلوستر : إني أعرف هذا الصوت.

لير : آه يا جونريل هكذا تصنعين بلحية بيضاء كما لو كنت كلباً، لقد قالوا لي إنني كل شيء، وهذه أكذوبة.

غلوستر : نبرة هذا الصوت أعرفها، أليس هو الملك؟

لير : أي نعم هو، ألا ترى أن الرعية ترتعد حينما أحدق

بطريقٍ، فابن غلوستر غير الشرعي كان أبرّ بوالده من بنتيّ، أفٍ أُفٍ، تبًّا لهن.

غلوستر : آه، دعني أقبّل تلك اليد.

لير : انتظر حتى أمسحها، إن فيها رائحة الفناء.

غلوستر : يا قطعةً من خير، أتعرفني؟

لير : أنا أذكر عينيك جيداً.

غلوستر : لا أستطيع الرؤية.

إدغار (لنفسه): آه، فلو قص لي أحد ما يحدث هنا لما صدقته، وقد انفطر له فؤادي.

لير : اقرأ.

غلوستر : بمَ؟ بمحجر العينين؟

لير : آه.. فهمت، فلقد ثقلت مصيبة عينيك، ومع ذلك فأنت تعي كيف تدور هذه الدنيا.

غلوستر : أراه بمشاعري.

لير : ماذا تقول؟ أجننت؟ إن المرء يستطيع أن يرى كيف تدور الدنيا بلا عينين، انظر بأذنيك.. رُحْ واجلب لنفسك عينين زجاجيتين، وازعم أنك ترى ما لا ترى كما يفعل رجل السياسة الوغد، آه، آه، آه، انزع حذائي، بشدّة، بشدة هكذا.

إدغار (لنفسه): ما أشد ما يمتزج العقل والجنون في هذا الكلام!

لير : إن كنت تريد أن تبكي حظي التعيس فخذ عيني، إني أعرفك، اسمك غلوستر، عليك أن تصبر.

غلوستر : يا شؤم ذلك اليوم!

(يدخل سيد ومعه أتباع)

سيد : ها هو ذا، امسكوه، مولاي إن ابنتك الحبيبة.

لير : ماذا؟ أأسير أنا؟ إنني ولدت لأكون ألعوبة في يد الدهر، أحسنوا معاملتي.

السيد : لك ما تشاء.

لير : سأموت شجاعًا، ماذا؟ سأبتهج وأكون فرحًا، أنا الملك، ألا تعرفون ذلك؟

السيد : أنت صاحب الجلالة ونحن رهن أوامرك.

لير : إذن فلا يزال هناك أمل، تعالوا لتأخذوه إن كنتم تريدونه، فلن تحصلوا عليه إلا جريًا، +أهُهْ، اهه، أهه.

(يخرج وهو يجري وخلفه الأتباع).

السيد : مظهر يعجز عن وصفه اللسان، ورغم ذلك لدي بنت فيها خلاص الطبيعة.

إدغار : السلام عليك يا سيدي.

السيد : وعليك سلام الله، ماذا تريد؟

إدغار : أسمعت شيئًا عن معركة وشيكة؟

السيد : بالتأكيد.

إدغار : قل لي أين يقع الجيش الآخر؟

السيد : إنه قريب.

إدغار : أشكرك يا سيدي.

السيد : الملكة هنا لأمر خاص، ولكن جيشها قد تحرك فعلاً.

إدغار : أشكرك يا سيدي.

(يخرج السيد)

غلوستر : أيتها الآلهة، خذي روحي.

إدغار : لقد أحسنت الصلاة يا أبي.

غلوستر : من أنت أيها السيد الكريم؟

إدغار : رجل فقير جداً، أعطني يدك وسأقودك إلى مكان تأوي إليه.

غلوستر : أشكرك من قلبي.

(يدخل أوزولد)

أوزولد : يا لحظي السعيد! أيها الخائن الشقي العجوز، تذكر خطاياك بسرعة، فذلك السيفُ الذي فوق عنقك سيقضي عليك بلا شك.

غلوستر : إذن فادفعه بشدة.

(يتدخل إدغار)

أوزولد : كيف أيها الفلاح الوقح تعين رجلاً خائناً؟ أغرب عن وجهي وخَلّ عن ذراعه.

إدغار : لن أخلي عنها دون أن تقدم لي سببًا آخر.

أوزولد : إن لم تخل عنها قتلتك.

إدغار : امض لشأنك يا سيد ودع عباد الله بسلام، لا، لا تقترب منه، أنا أنذرك ألا تمسه وإلا وجدت نفسك تلعن اليوم الذي ولدت فيه، هكذا بمنتهى البساطة.

أوزولد : أنت؟!

إدغار : اقترب فلا أعبأ بطعناتك. (يتقاتلان ويصرعه إدغار)

أوزولد : لقد قتلتني يا فلاح، خذ كيس نقودي وادفني، أوصل ما تجده معي من خطابات إلى إدموند إيرل غلوستر، ابحث عنه في معسكر الإنجليز، آه، متّ.

(يموت)

إدغار : إني أعرفك جيدًا، وغد مطيع لرذائل سيدتك.

غلوستر : هل مات؟

إدغار : اجلس أنت يا أبي، استرح، دعنا نرى ما في هذه الجيوب، فقد تفيدني تلك الخطابات التي تحدث عنها. (يقرأ): "تذكر ما تبادلناه من عهود، لديك فرص عديدة لاغتياله، فإذا عاد منتصرًا ضاع كل شيء، أرجوك أن تنقذني من دفئه المقيت مقابل أن أكون زوجتك عشيقتك المحبة جونريل".

ما أعظم شهوة المرأة؛ تتآمر على حياة زوجها وتحل محله

أخي! هنا في الرمال سأواريك، وفي الوقت الملائم بهذه الورقة الخبيثة سأطرف عين الدوق الذي تآمروا على حياته، وسأخبره بأمر موتك.

غلوستر : الملك أصابه الجنون، أما أنا فعقلي صامد عنيد. (طبل من بعيد)

إدغار : أعطني يدك، تعال معي يا أبي إلى صديق تقيم عنده.

المشهد السابع

(خيمة في معسكر الفرنسيين)

(تدخل كورديليا وكنت وطبيب وسيد)

كورديليا : يا لك من رجل فاضل يا كنت، لست أدري ماذا أصنع لكي أكافئك.

كنت : مولاتي، إنك بتقديرك هذا تكافئني.

كورديليا : رح وارتد ثيابًا أنسب، أرجوك أن تخلعها.

كنت : أرجو ألا تؤاخذيني يا مولاتي العزيزة، إن ظهرت للناس على حقيقتي أفسد ذلك خطتي، حتى تأتي اللحظة المناسبة.

كورديليا : أيتها الآلهة الرحيمة، عاف أبي المجهد ذلك الأب الذي صار كالطفل.

الطبيب : أتسمح جلالتك بأن نوقظ الملك؟ لقد نام بما فيه الكفاية.

كورديليا : تصرف كما تشاء أنت، هل ألبسته وه ما يليق؟

(يدخل لير جالسًا في كرسي يحمله خدم)

السيد : نعم يا مولاتي، هو غارق في سباته.

الطبيب : كوني بالقرب منا يا مولاتي حينما نوقظه، فلا أشك في رشده.

كورديليا : كما تشاء. (موسيقى)

الطبيب : اقتربي من فضلك، ارفعوا صوت الموسيقى.

كورديليا : آه يا أبتي العزيز.

كنت : أيتها الأميرة.

كورديليا : إن هذه الجدائل البيضاء كانت كفيلة بأن يشفقا عليك حتى لو لم تكن أنت أبًا لهما، فلو كان كلبَ مُعدٍ، حتى وإن كان عضني، لجعلته يبقى أمام مدفأتي في تلك الأمسية، يا لهفتي! يا لهفتي! إنه يفيق، كلّمه.

طبيب : كلّميه، فهذا أنسب.

كورديليا : كيف حال مولاي الملك؟

لير : أنت روح من أرواح النعيم.

كورديليا : أتعرفني ؟

لير : نعم أعرف أنك روح من الأرواح، أين متّ؟

كورديليا : لا يزال يسرح بعيدًا عنا.

الطبيب : اتركيه لحظة.

لير : أين كنتُ؟ أين أنا ؟ لا بد أني مخدوع جدًّا!

كورديليا : انظر إليّ يا مولاي، لا يا مولاي، لا تركع.

لير : أرجوك ألا تتهكمي عليّ، أنا رجل عجوز فوق الثمانين، أظن أنني أعرفك وأعرف هذا الرجل، ومع ذلك فأنا أشك في أمري، أليست هذه السيدة هي ابنتي كورديليا.

كورديليا : نعم أنا هي، أنا هي.

لير : أتبللك دموعك؟ لا تبكي، أعرف أنك لا تحبينني، إن أختيك قد ظلمتاني، أنت لك عذرك، أما هما فليس لهما أي عذر.

كورديليا : لا عذر، لا عذر.

لير : هل أنا في فرنسا؟

كنت : أنت في مملكتك يا مولاي.

لير : لا تخدعيني.

الطبيب : اطمئني يا مولاتي الكريمة، اطلبي إليه أن يدخل، ولا تزعجيه بعد الآن حتى يزداد هدوءاً.

كورديليا : أيروق لجلالتك أن ترتاح؟

لير : أرجوكم أن تحتملوني وتغفري لي، إنني هَرِم أحمق.

(يخرج لير وكورديليا والطبيب وأتباع)

السيد : أصحيح يا سيدي أن دوق كورنوول قتل؟

كنت : بكل تأكيد.

السيد : ومن يقود جيشه الآن؟

كنت : ابن غلوستر غير الشرعي كما يقولون.

السيد : يقولون أن إدغار ابنه المنفي هو الآن مع النبيل كنت في ألمانيا.

كنت : الأخبار تتغير، لماذا؟ لقد آن أن نراقب ما يدور حولنا.

السيد : من المحتمل أن يكون اللقاء الحاسم دمويًّا، وداعًا.

كنت : وداعًا.

الفصل الخامس

المشهد الأول

(المعسكر البريطاني بالقرب من دوفر)

(يدخل بالطبول والرايات إدموند وريغان وضباط وجند وغيرهم)

إدموند : اذهب إلى الدوق وأخبرنا ما وصل إليه جلالته من قرارات، هيا احمل لنا ما استقر رأيه عليه.

(إلى ضابط يخرج)

ريغان : لا شك أن رسول أختنا أصابه سوء.

إدموند : هذا ما أخشاه يا مولاتي.

ريغان : والآن يا سيدي الحبيب، قل لي بصدق، حتى وإن كانت الحقيقة مُرة كالعلقم، أتحب أختي؟

إدموند : حبًّا شريفًا.

ريغان : ولكن ألم تطرق أبدًا فراشها؟

إدموند : هذا الخاطر لا يليق بك.

ريغان : إني أخشى من ذلك.

إدموند : لا يا مولاتي.

ريغان : لن يكون بمقدوري احتمالها.

إدموند : لا تخافي علي، ها هي ذي وزوجها الدوق.

(يدخل بالطبل والرايات أولباني وجونريل وجنوده)

جونريل (لنفسها): يا لها من أخت قبيحة سارقة الرجال.

أولباني : أهلًا وسهلًا أختنا الحنون، سيدي، لقد سمعت أن الملك ذهب إلى ابنته ومعه آخرون ممن هم من خدمنا، وأن فرنسا تغزو أرضنا.

إدموند : سيدي إنك تتكلم بصدق.

ريغان : ولم التبرير؟

جونريل : لنتضافر معًا ضد العدو.

أولباني : لنضع إذن خطتنا، سأحضر سريعًا إلى خيمتك.

ريغان : أتأتين يا أختي.

جونريل : لا.

ريغان : ومن الأنسب أن تأتي، أرجوك.

جونريل (لنفسها): آه، عرفت السر، سآتي.

(يدخل إدغار متنكرًا بينما هم خارجون)

إدغار : كلمة واحدة يا مولاي إن كنت تحدثت في حياتك إلى رجل فقير مثلي.

اولباني : سألحق بكم. (يخرج إدموند وريغان وجونريل وضباط وجنود وأتباع): تكلم.

إدغار : قبل أن تخوض المعركة افتح هذا الخطاب، ليكن الحظ حليفك.

أولباني : انتظر حتى أقرأها .

إدغار : لم يُسمح لي بذلك، فحين تأتي الفرصة اؤمر المنادي بأن يصيح وأنا أظهر ثانية.

أولباني : وداعًا إذن، سأقرأ الورقة.

(يخرج إدغار)

(يعود إدموند)

إدموند : اجمع جنودك، الأمر عاجل يتطلب منك السرعة.

أولباني : سنقوم بالواجب هذا الطارئ.

(يخرج)

إدموند : لقد أقسمت بحبي لكلتا هاتين الأختين، أيهما آخذ؟ كلتاهما على قيد الحياة، إن اخترتُ الأرملة اغتاظت أختها جونريل وزوجها لا يزال حيًّا، سنستغل سلطانه في المعركة، وحين ينتهي القتال دعها هي تتخلص منه، أما عما به من مشاعر الرفق والرحمة إزاء لير وكورديليا فلننتظر حتى نهاية المعركة، وحين يصبحان في قبضتنا لن يريا منا ذلك العفو الذي +ينويه، إن مركزي يتطلب

العمل لا الكلام.

المشهد الثاني

(ساحة بين المعسكرين)

(بوق من الداخل، يدخل بالطبل والرايات لير وكورديليا ومعهما قواتهما ثم يخرجون)

(يدخل إدغار وغلوستر)

إدغار : هنا يا أبي، اجعل هذه الشجرة مأواك حتى أعود إليك.

غلوستر : ليصاحبك لطف الله يا سيدي.

(يخرج إدغار)

(أبواق – بعدها تقهقر – يعود إدغار)

إدغار : أعطني يدك لنبتعد عن هنا، لقد خسر الملك لير المعركة وأسر هو وابنته كورديليا، أعطني يدك، تعال.

غلوستر : لا، لن أذهب.

إدغار : ماذا؟ أعدتَ إلى أفكارك السقيمة؟

غلوستر : ليس هناك ما يُخيفني.

المشهد الثالث

(المعسكر البريطاني قرب دوفر)

(يدخل إدموند منتصراً بالطبل والرايات، ولير وكورديليا أسيرين وضباط وجنود)

إدموند : ليأخذهما بعض الضباط ولتدقق الحراسة عليهما حتى نعرف من سيحاكمهما.

كورديليا : لسنا أول من جرّوا على أنفسهم أسوأ العواقب بأحسن النيات، لم أحضر من أجلك أيها القدر الغدار، بل من أجل هاتين الأختين؟

لير : لا! لا! لا! تعالي بعيداً إلى السجن أركع أمامك وأسألك الغفران.

إدموند : خذوهما بعيداً عن هنا.

لير : يا ابنتي كورديليا، لقد وجدتك أخيراً يا ابنتي، ولن يفرق بيننا إنسان بعد الآن، امسحي الدموع عن عينيك، ستنتقم منهم الأيام، فالعدالة في كل مكان، سنراهم يموتون جوعاً قبل أن تذرف عيوننا الدموع، تعالي.

(يخرج لير وكورديليا تحت الحراسة)

إدموند : تعال هنا أيها الضابط، أصغ لي، خذ هذه الورقة (يعطيه ورقة) اذهب والحق بهما في السجن، لقد سبق أن رقيتك رتبة، أمامك أن تختار بين شيئين: إما أن تنفذ هذه المهمة، وإما أن تنشد لنفسك الفلاح بوسيلة أخرى.

الضابط : سأنفذ المهمة يا سيدي.

إدموند : امض إذن.

(يخرج)

(صوت أبواق، يدخل أولباني وجونريل وريغان وضباط وجنود)

أولباني : يا سيد إدموند، لقد أظهرت اليوم مقدرتك وجسارتك، إن لديك أسيرين أود أن تعطيني إياهما لكي نتصرف معهما بما يحمينا منهما.

إدموند : لقد رأيت أنه من الواجب أن أرسل الملك المسنّ البائس إلى مكان أمين تقوم عليه الحراسة، نحن الآن لا تزال دماؤنا تسيل، فالصديق قد فقد صديقه، وإن مسألة كورديليا وأبيها تتطلب مكانًا أليق من هذا المكان.

أولباني : معذرة يا سيدي، إنني أعتبرك مجرد ضابط من الرعية في هذه الحرب، لا أخًا لنا.

ريغان : هذا يتوقف على مشيئتنا، لقد قاد إدموند قواتنا وقام بوظيفتي وحل محل شخصي في هذه الحرب.

جونريل : هدّني من روعك يا ريغان، إن ما به من سجايا ليرفع قدره.

أولباني : هذا غاية ما يناله لو أنه كان بعلًا.

جونريل : الله! الله! العين التي أخبرتك بذلك، ما بها إلا حول.

ريغان : ليشهد العالم ها أنذا هنا أجعلك سيدي وزوجي.

جونريل : أتنوين أن تستمتعي به؟

أولباني : ليس من سلطتك أنت أن تمنعيها.

إدموند : ولا من سلطتك أنت.

أولباني : بلى يا ابن السفاح.

ريغان (إلى إدموند): دع الطبول تدق يا إدموند، وأثبت للعالم أن لقبي قد أصبح لقبك.

أولباني : مهلًا، واستمع إليّ يا إدموند، إني أقبض عليك بتهمة الخيانة العظمى ومعك شريكتك، هذه الأفعى (مشيرًا إلى جونريل)، أما عن زواجك فإني أمنعه لصالح زوجتي، فهي التي قد عقدت قرانها من الباطن على هذا السيد، ولذلك فبما أني زوجها فإني أعارض زواجك، فإن كنت تريدين إتمام ذلك فعليك أن تخطبي ودّي لأن زوجتي محجوزة له.

جونريل : أيّ تمثيلية هذه؟

أولباني : إنك لا زلت مسلحًا يا إدموند، وها أنذا هنا أتحداك

(يلقي قفازه على الأرض) سأثبت خياناتك بطعنك في قلبك قبل أن يذوق فمي الطعام.

ريغان : أنا مريضة! مريضة!

إدموند : وأنا أقبل هذا التحدي (يلقي بقفازه على الأرض) سأبرّر صدقي وشرفي (بما يصنعه سيفي) بشخصه.

أولباني : أحضروا مناديًا، عليك أن تعتمد على شجاعتك وشخصك فحسب يا إدموند، فجنودك جمعوا باسمي وباسمي سرّحوا جميعًا.

ريغان : إنّ مرضي يزداد سوءًا.

أولباني : إنها مريضة، خذوها إلى خيمتي.

(تخرج ريغان يقودها البعض)

المنادي (يقرأ): إذا كان هناك رجل ذو أصل يريد أن يثبت أن إدموند أمير غلوستر خائن فليظهر أمامنا هنا.

انفخوا في البوق (ينفخ في البوق)

انفخوا في البوق ثانية (ينفخ في البوق مرة ثانية)

انفخوا في البوق للمرة الثالثة (ينفخ في البوق مرة ثالثة)

(يدخل إدغار مسلحًا يتقدمه رجل يحمل بوقًا)

أولباني : سَلْه عن قصده وماذا يُريد.

المنادي : من أنت؟ ما اسمك ومنزلتك؟ ولماذا تأتي؟

إدغار : إن اسمي قد سلب مني، أتت عليه الخيانة وامتصت منه

الحياة إلا أني لا أقل نبلًا عن غريمي الذي أتيت لملاقاته.

أولباني : من هو هذا الغريم؟

إدغار : أين هو الذي يتحدث باسم إدموند أمير غلوستر؟

إدموند : أنا هو، ماذا تريد أن تقول لي؟

إدغار : ارفع سيفك كي يردّ لك سأعدك حقك إذا كان كلامي سيجرح نفسًا شريفة، ها هو ذا سيفي، انظر، ها أنذا أعلن أنك خائن، خائن لآلهتك ولأخيك ولأبيك، متآمر على هذا الأمير الشهير ذي الشأن الرفيع، خائن دنس، إن أنكرت ذلك فإن سيفي قد عقد العزم على أن يجعلك تنطق بكل أكاذيبك تلك.

إدموند : ما اسمك، بل إني احتقر كل ذلك، وأردّ عليك التهمة بالتهمة، تلك الخيانة التي ألقيتها عليّ، ولذلك فها هو سيفي مسلول فيشق رأسك.

(صوت أبواق – يتبارزان ويسقط إدموند)

أولباني : أنقذوه، أنقذوه.

جونريل : إنها مؤامرة يا غلوستر، فقواعد الحرب تقضي بألا تُجيب مجهول الاسم، لقد خدعوك ومكروا بك.

أولباني : اخرسي أنت يا امرأة وإلا أطبقت فمك بهذه الورقة، مهلًا، انظر يا سيد إلى هذه الرسالة فيها جرمك، ألا تعرفينها أيتها السيدة؟

جونريل : وإن قلت أعرفها، فما من حاكم إلا أنا، فالقوانين قوانيني أنا لا قوانينك أنت؟

أولباني : يا للفظاعة! أتعرفين هذه الورقة؟

جونريل : لا تسألني.

(تخرج)

أولباني : الحق بها يا ضابط وراقبها.

(يخرج ضابط)

إدموند : ما اتهمتني به فهو حق فعلًا، ولكن.أخبرني من أنت يا من كتب له النصر عليّ؟ إن كنتَ نبيلًا عفوت عنك.

إدغار : دعنا نتبادل العفو، إني لا أقلّ عنك نبلًا يا إدموند، اسمي إدغار ابن أبيك الذى فقد بصره.

إدموند : صدقت القول، أنا الآن في الحضيض.

أولباني : إدغار، دعني أعانقك وليعفو عني الرب إن كنت يومًا كرهتك أو كرهت أباك.

إدغار : ليغفر لك الرب يا أخى الأمير.

أولباني : أين كنتَ؟ وكيف عرفت بأمر أبيك؟

إدغار : عن طريق مواساته يا سيدي، استمع إلى هذه القصة القصيرة. (إن الحكم الذي صدر بإعدامي جعلنى أخاف الحياة وأهرب كى أتخفى في هيئة رجل مجنون ولباس بالية تحتقر منه الكلاب ذاتها، وأنا في تلك الهيئة وجدت

أبي مفقأ العينين، فأصبحت دليله وأنقذته من اليأس، ولم أكشف له عن شخصي إلا منذ قليل) وآمل أن يتم لي النصر وإن لم أكن واثقًا منه. لذا طلبت منه يرضى عني ويباركني ورويت له قصتي. إلا أن قلبه المنشطر لم يحتمل الصراع بين الفرح والحزن، فانفجر وهو يبتسم.

إدموند : لقد حركت مشاعري يا أخي الطيب.. ولكن أكمل كلامك.

أولباني : إذًا فما عليك ألا تقل مما حدثتك عنه الآن، فقد جعلني ذلك أذوب من الدموع والأسى.

إدغار : يا لها من ذروة الحب الناضجة، فاسمع مني (ففي أثناء صراخي وعويلي أتاني رجل كان قد كره مُصاحبتي لقذارة ثيابي، ولكنه بعد أن عرف حقيقتي وما قاسيته من أهوال، وضع ذراعيه حول عنقي وصرخ معي.. وألقى بنفسه على أبي، وروى قصة عذابه والملك لير، ولكن البوق اضطرني لتركه وهو في حالة إغماء.

أولباني : ومن هو ذلك الرجل؟

إدغار : كنت يا سيدي، الذي حكم عليه بالنفي.

(يدخل رجل وبيده سكين عليه أثر الدماء)

الرجل : النجدة! النجدة!

إدغار : ماذا حدث؟

أولباني : تكلم يا رجل.

إدغار : ما هذه السكين؟

الرجل : أواه لقد ماتت!

أولباني : من؟ أجب يا رجل.

الرجل : زوجتك وأختها ترقد بجوارها مسمومة، لقد اعترفت زوجتك بأنها هي التي دست السّم لها.

إدموند : لقد وعدت كلتيهما بالزواج.

إدغار : هذا هو إذا كنت مقبلاً.

(يدخل كنت)

أولباني : أحضروهما هنا أحياء أو أمواتًا.

(يخرج الرجل)

إن حكم السماء هذا لا يثير أي شفقة في نفوسنا.

(إلى كنت): هل كنت هو؟ كنت أتمنى أن أحتفي بك يا سيدي.

كنت : جئت كي أحيّي مليكي فأين هو؟

أولباني : تكلم يا إدموند، أين الملك؟ وأين كورديليا؟

(تحمل جثتا جونريل وريغان على خشبة المسرح)

أترى هذا يا كنت؟

كنت : يا للأسى، لماذا حدث هذا؟

إدموند : ومع ذلك كان هناك من يحب إدموند وها هى قد قتلت نفسها.

أولباني : هذا صحيح، غطوا وجهيهما.

إدموند : لم أعد أستطيع التنفس، ولكني على الرغم من طبيعتي أريد أن أفعل خيرًا، أرسلوا شخصًا إلى القلعة في التو. فقد أصدرت أمرًا بالقضاء على لير وعلى كورديليا، أسرعوا إلى القلعة قبل فوات الأوان.

أولباني : اجروا بسرعة، اجروا.

إدغار : لمن يا مولاي؟ أعط الرسول دليلًا على صدور العفو عنهما.

إدموند : صحيح، ها هو سيفي، أعطه إلى الضابط هناك.

إدغار : أسرع ورب السماء.

(يخرج الضابط)

أولباني : حمتهما الآلهة، احملوه بعيدًا الآن. (يحمل إدموند إلى الخارج)

(يعود لير حاملًا جثة كورديليا بين ذراعيه وضابط)

لير : اصرخوا معي! أنتم رجال من الصخر؟! فهي ميتة كالتراب.

كنت : هل هذه هي نهاية الدنيا؟

إدغار : أم هي صورة ليوم الحشر؟

أولباني : لتتنزل على كل ذرة الأحزان والهموم ولتنته الدنيا!

لير : أراها تتحرك، إذ هي لا تزال حية.

كنت (راكعًا): يا مولاي الكريم!

لير : ابعد عني.

إدغار : إنه صديقك، كنت النبيل.

لير : أيها القتلة الخائنون! كورديليا! انتظري لحظة! صه! ماذا تقولين! لقد قتلتُ العبد الذي شنقك.

الضابط : هذا صحيح يا سادتي، إنه قتله بيده.

لير : أليس كذلك يا رجل؟ من أنت؟ لقد ضعف بصري، ولكني سأخبرك حالًا.

ألستَ كنت؟

كنت : بعينه يا مولاي.. أين خادمك كير؟

لير : لقد كان رجلًا طيبًا، مات وتعفن.

كنت : لا يا مولاي. إنني هو...

لير : سننظر في هذا الأمر بعد لحظة.

كنت : ذلك هو الرجل الذي لازمك منذ أن بدأت ظروفك تلك القاسية بأهوالها.

لير : مرحبًا بك هنا.

كنت : إنني ذلك الرجل، وقد عدلت السماء فماتت ابنتاك الكبيرتان من اليأس والغدر والخيانة.

لير : ذلك ما أعتقدته.

(يدخل ضابط)

الضابط : لقد مات إدموند يا مولاي.

أولباني : ما أتفه هذا الخبر، والآن فإنا نُعلن أننا سنتخلى لجلالة الشيخ عن سلطاننا المطلق طالما هو على قيد الحياة.
(إلى إدغار وكنت): وأنتما ستعاد إليكما حقوقكما كاملة بل وأكثر منها القُرب منا، انظروا! انظروا!

لير : وحبيبتي المسكينة شنقوها! لن تعودي إليّ ثانية! أبدًا! أبدًا! أرجوك يا سيدي فكّ لي هذا الزرار، شُكرًا يا سيدي. أترون هذا؟ انظروا إليها، انظروا إلى شفتيها، انظروا هنا! هنا!

(يموت)

إدغار : لقد أغمي عليه! مولاي! مولاي!

كنت : انفطر يا قلبي!

إدغار : انظر إلينا!

كنت : لا تزعج روحه، دعه يمضي.

إدغار : إنه مضى بالفعل.

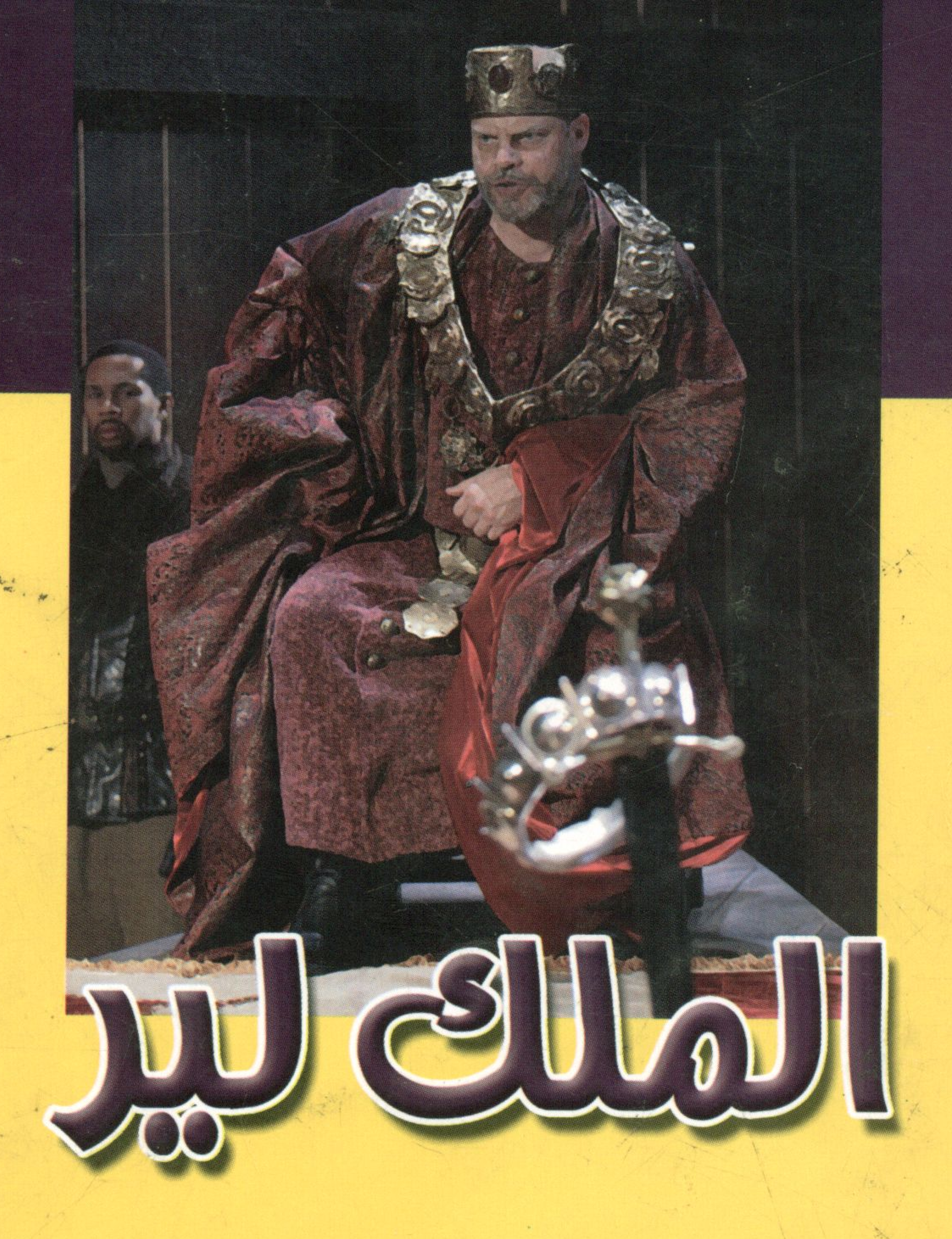
أولباني : أحملوا هذه الجثث بعيدًا، وليُعلن في البلاد الحداد العام. يا صديقي، كنت وإدغار، توليا حكم هذه المملكة.

كنت : إن هناك رحلة فمولاي يدعوني ولا أرفض له طلبًا.

إدغار : واجبنا أن نطيع، فإن أكبرنا سنًا قد قاسوا الأهوال أكثر مما قاسينا نحن، أما نحن الشباب فلن نرى مقدار ذرة مما قد لقوا ولن نُعمّر مثلما عمروا في الحياة.

(يُعلن الحداد العام)

(يخرجون والموسيقى تتكلم بعين الحال على إيقاع لحن جنائزي)



الملك لير





العالمية للكتب والنشر